المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

آراء مفكري التربية الاسلامية حول الاختلاط بين الجنسين في التعليم بمرحلة الصفوف الأولية

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية

إعداد الطالب

عبدالله ناصر إبراهيم البشر

الرقم الجامعي

(٤٣١٨٨١٢٣)

إشراف

أ.د. حامد بن سالم الحربي

الفصل الثاني للعام الدراسي

١٤٣٥ - ١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدارسة

اسم الباحث: عبد الله بن ناصر إبراهيم آل بشر

موضوع الدراسة: آراء مفكري التربية الإسلامية حول الاختلاط بين الجنسين في التعليم بمرحلة الصفوف الأولية.

أهداف الدراسة: هدف الدراسة إلى التعرف على أراء مفكري التربية الإسلامية حول الاختلاط بين الجنسين، وحول تولي المرأة تعليم الذكور بالصفوف الأولية، وكذلك من وجهة نظر المفكرين الغربيين.

منهج الدراسة: المنهج الوصفي.

فصول الدراسة: اشتملت الدراسة على أربعة فصول ويشمل الفصل الأول الإطار العام للدراسة.

ويمثل الفصل الثاني خصائص مرحلة الصفوف الأولية. ويركز الفصل الثالث على أهم الانعكاسات الأخلاقية والعلمية لاختلاط الجنسين بالصفوف الأولية من وجهة مفكري التربية الإسلامية

بينما يحوي الفصل الرابع على أهم الانعكاسات الأخلاقية والعلمية لاختلاط الجنسين في التعليم بالصفوف الأولية من وجهة نظر المفكرين الغربيين والدراسات الحديثة المعارضة للاختلاط .

بينما الخامس فيشتمل على أهم الانعكاسات الأخلاقية والعلمية عند تولي المرأة تعليم الذكور في الصفوف الأولية.
وأما الفصل السادس ففيه الاستخلاصات العامة والتوصيات فكانت **أبرز استخلاصات الدراسة:**

١- وجود فروقات واضحة في خصائص النمو بين الذكور والإناث في مرحلة الصفوف الأولية.

٢- فكرة الاختلاط في الصفوف الأولية تعارض منطلقات التربية الإسلامية وآراء مفكريها.

٣- تولي المعلمات تدريس الذكور في الصفوف الأولية فيه تعارض مع آراء مفكري التربية الإسلامية وتراجع في دول غربية عن الفكرة.

أبرز توصيات الدراسة:

١- إنشاء قسم خاص بدراسة الأفكار المطروحة لتطوير الميدان التعليمي في وزارة التربية والتعليم.

٢- تطوير المعلمين والمعلمات في مجال علم نفس النمو.

٣- العناية بآراء مفكري التربية الإسلامية والانطلاق منها في رؤانا التربوية والتعليمية.

Abstract

Researcher: **ABDULLAH BIN NASSER IBRAHIM AL BISHR**

Title of the study: "**The Views Of Islamic Education Thinkers About Mixing Between The Two Genders In Primary Grades Education**".

Objectives of the study: This study aimed to identify the views of Islamic education thinkers about mixing between the two genders in primary grades, women teaching males in primary classes, as well as from the perspective of Western thinkers.

Approach Of The Study: Descriptive approach.

Chapters Of The Study: The study included four chapters.

First Chapter: The general framework for the study.

Second Chapter: Properties of primary grades stage.

Third Chapter: Focuses on the most important ethical and scientific implications of mixing between the two genders in primary grades from the point of thinkers of Islamic education.

Forth Chapter: The most important ethical and scientific implications of mixing between the two Genders in primary education grades from the perspective of modern Western thinkers and studies opposition to mixing.

Fifth Chapter: The most important ethical and scientific implications of the women from taking male education in the primary grades.

Sixth Chapter: General conclusions and recommendations.

Results of the study:

1. There are clear differences in growth characteristics between males and females in the initial stage grades.
2. The idea of mixing in the primary grades opposed perspectives of Islamic education and the views of Islamic thinkers.
3. Female teachers in the primary grades is in conflict with the views of thinkers of Islamic education and the decline in Western countries about the idea.

Recommendations of the study:

1. Creation of a special section examining the ideas put forward for the development of the educational field in the Ministry of Education.
2. Teachers well development in the field of Developmental Psychology.
3. Care about the views of Islamic thinkers about Islamic education and starting in the educational visions.

شكر وتقدير

الحمد لله على نعمائه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، أحمده كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أسبغ علينا نعمه ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ** ﴾ ، وأمرنا بشكره فقال سبحانه: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ** ﴾، فلله الحمد أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد قال نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: (**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**)؛ ولذا فأتقدم بالشكر الجزيل –بعد شكر الله سبحانه– لمن كان لهم فضلٌ عليّ في حياتي ولن أوليهم حقهم بكلماتٍ تسطر، وهما والداي الكريمان حفظهما الله وشافاهما من كل داءٍ، فلقد رأيت أثر دعائهما في كتابتي لهذه الدراسة، فاللهم ارحمهما كما ربياني صغيرًا، ثم أشكر من أعانني على إتمام هذه الدارسة، وأخص بالذكر سعادة الأستاذ الدكتور الوالد: حامد بن سالم الحربي، الذي تكرم بالإشراف عليَّ في إنجاز هذه الدراسة، فقد كان لي الوالد النصوح، فغمرني بكريم خلقه وفضله وعلمه، ولم يدخر جهدًا في توجيهي وإرشادي طيلة فترة كتابة الدراسة.

والشكر موصول لسعادة الدكتور: خالد بن محمد القويم، رئيس قسم التربية الإسلامية بجامعة أم القرى، وكافة أعضاء هيئة التدريس بالقسم، على ما قدموه لي ولزملائي الطلاب من علمٍ وتوجيهٍ.

كما يطيب لي أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة: وهما الأستاذ الدكتور: ملوح باجي الخريشا والدكتور: نايف حامد الشريف على تفضلهما بقبول مناقشة الرسالة.

وختامًا، أتقدم بشكري لكل من ساندني على إتمام دراستي من الأهل والأصدقاء، وأخص بالذكر زوجتي الوفية والتي صبرت على انشغالي بالدراسة، وكانت خير معينٍ لي.

فجزاهم الله عني خير الجزاء

الباحث

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة

الفصل الأول: الإطار العام للدراسة

- مقدمة.
- مشكلة الدراسة.
- أهداف الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- مصطلحات الدراسة.
- الدراسات السابقة.

مقدمة:

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على المعلّم الأول، وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنّ لنا معاشر المسلمين مفخرةٌ أنّ أول آيةٍ في كتابنا (اقرأ)، فنحن أمة العلم والحضارة، بل لقد قدم علماء ومفكرو التربية الإسلامية العلم، وجعلوه أولويةً قبل كل الأمور، فلقد بوب البخاري رحمه الله (باب العلم قبل القول والعمل).

والتعليم هو حجر الأساس في سبيل الرقي الحضاري لأي مجتمعٍ، وكلما كان التعليم مزدهرًا وحيويًا كانت مخرجاته متميزةً، تستطيع أن تسير نحو الرقي والتقدم الذي تنشده كل البشرية، ويجدر بالمهتمين بالتربية والتعليم دراسة أي فكرة تُطرح، يراد منها المساهمة في التطوير للعملية التربوية والتعليمية .

ومما يطرح من رؤى تطويريةٍ، فكرة الاختلاط في التعليم بالصفوف الأولية، وتولى المعلمات تدريس الذكور في هذه المرحلة، وهناك اختلاف في وجهات النظر تجاه الفكرة، فثمة فريقٍ يؤيد هذا الطرح.

فالمفكر راشد الغنوشي أيّد الاختلاط بين الجنسين في التعليم في جميع المراحل، وذكر أنّ النصوص الثابتة عن المجتمع النبوي، تدل على أنّهم مجتمعٌ واحدٌ من الرجال والنساء، تسوده علاقاتٌ عفويةٌ جادةٌ، وكانت النساء يشهدن مجالس العلم بمسجد النبي ﷺ دون حواجز، أما المنادون بتحريم الاختلاط فإنهم يعيدون للأذهان فترة المجتمعات الإسلامية الانفصالية، التي سادت في عصر الانحطاط (السميري والهبدان، ١٤٣١، ص ٣٥-٣٦).

ويقابله على الشق الاخر من يخطئ هذا الرأي، حيث يذكر باحارث (١٤٣٣، ب) أنّ من المعاصرين من أشكل عليه أسلوب تعلم النساء وتعلميهن من وراء حجاب، ودونوا نصوصًا منقولةً من كتب السلف، وأضافوا عليها تصوراتهم الخاصة، تفيد بروز النساء للرجال في حلقٍ كبيرةٍ، وعند التحقق

من النصوص لم يرى باحارث هذه المبالغات موجودةً في المصادر الأصلية، فمن دوّن ذلك اعتمد على مراجع ثانويةٍ أو أجنبيةٍ، ولم يقف إلا على نصٍ واحدٍ يتضح منه اختلاط المعلمة بالذكور، وتبين أن تلك المرأة من القواعد من النساء (ص ١٣٦-١٣٧).

وفيما سبق إيراد للنظرة من جهة ربطها بالشريعة الإسلامية،ومدى قبولها او رفضها على العموم.

أما الطرح التربوي لموضوع اختلاط الذكور بالإناث في الصفوف الأولية، فيذكر المؤيدون له بأنّ التجديد مطلبٌ حضاريٌ، لمواكبة التقدم ومسايرة الركب الحضاري في هذا الزمن، وذكروا أيضا أنّ فصل الذكور في هذه المرحلة عن زملائهم الكبار في الصف الخامس والسادس خصوصًا يُعد حمايةً لهم من التحرش الذي يواجهونه منهم. (الهادي، ١٤٣٥، ص ٨)

وتجد المعارضين يطرحون علاقة التعليم بالقيم التي ينتمي لها المجتمع، ويذكرون تأسف الدكتور الأمريكي كونانت على التعليم الأمريكي، ومدى خسارته لما أخذ نظرياته من الإنجليز والأوروبيين، وعلل بأنّ التربية والتعليم ليست بضائع تستورد، ثم يعقب المعارضون بأنّ المجتمع الأمريكي والإنجليزي تجمعهم رابطة الدين واللغة والكثير من الروابط، ومع ذلك خسروا، فكيف بمجتمعنا العربي المسلم، أفلا يستقل بثقافته وأفكاره (الأزرق، ١٤٢٩، ص ٤٦).

ومما يطرح تتمةً لفكرة الاختلاط بين الجنسين أن يتولى تعليم الذكور في الصفوف الأولية معلماتٌ، فيُنقل طلاب الصفوف الأولية إلى مدارس الفتيات، ويتولى تدريسهم المعلمات.

فيعتبرون المعلمة بديلةً للأم، خصوصًا أن الطفل حديث عهدٍ بانفصاله عن أمه، فتجده يستجيب لها كما لو كانت أمه، والمعلمة تلعب دورًا خطيرًا في تشكيل شخصية الطفل في هذه المرحلة من نموه (زهران، ٢٠٠٥، ص ٢٥٤).

وذكروا نقاطًا أخرى في أولوية تولي المعلمة تدريس الذكور في هذه المرحلة، وقام مجموعةٌ من

الباحثين بتدوين دراساتٍ تفيد خلاف ما ذكره المؤيدون.

ففي مؤتمر فقه الموازنات بجامعة أم القرى المقام ١٤٣٤هـ قُدمت دراسةٌ بعنوان تعليم المعلمات للذكور في الصفوف الأولية في صفوفٍ منفصلةٍ في ضوء فقه الموازنات، ومما ذكره الباحثتان أفنان تلمساني وابتسام القرني في معارضة الفكرة: أنّ الأولاد يحتاجون إلى الاحتكاك بالرجال؛ ليتعلموا أمور الرجولة وحياة الرجل، فإنّ المعلم يخاطب عقل الطفل وفكره، وهذا يقوي رجولته، بخلاف المعلمة، فتغلب عليها الأنوثة والعاطفة، وقد يكون سلبيًا على تنشئة ذلك الطفل. (التلمساني والقرني، ١٤٣٤، ص ٢٥٣٣).

والمطلع على الآراء ووجهات النظر يشعر أنّ هناك تباينًا في وجهات النظر، فالأولى أن نخرج بدراسةٍ تبرز آراء مفكري التربية الإسلامية في الموضوع؛ ليكون رأيهم مرجعًا لنا في تصوراتنا التربوية وقراراتنا.

مشكلة الدراسة:

من المسؤوليات المناطة بالتربويين السعي في الرقي بالعملية التربوية التعليمية؛ لأنّها هي حجر الأساس الذي يدير عجلة التنمية، فالأولى أن تكون آراءهم وأطروحاتهم تنبثق من أفكار مفكري التربية الإسلامية، ومن دراساتٍ علميةٍ ترتكز على نظرياتٍ تربويةٍ للخروج بأفضل النتائج.

ومما يطرح في الساحة التعليمية والتربوية فكرة الاختلاط في التعليم بالصفوف الأولية، وأن يسند تعليم الذكور والإناث للمعلمات.

فالمؤيدون للاختلاط يذكرون أنّ مطالبات المجتمع بتوظيف المرأة تدعوا إلى عملها كمعلمة للأطفال؛ لمناسبة فطرة المرأة النابعة من الحنان والحب، وأن يتوجه الرجال لأعمال الصناعة والجيش وغيرها، بل إنّ هذه الأعمال تجعل الرجال يعزفون عن العمل في التدريس (الهادي، ١٤٢٧، ص٧).

ولقد خرجت بعض الدراسات المعاصرة كدراسة (تعليم المرأة المسلمة في ضوء التربية الإسلامية) بنتائج تحوي آلية تعلم الفتاة المسلمة، وكذلك تعليمها في عهد السلف الصالح، وكيف أنّ الوقائع التاريخية في كتب التراث الإسلامي، تُوضح نظام تعليم المرأة المسلمة، وتوليها التعليم، وكان غالب هذه العملية التعليمية تتم في المنزل بعيدًا عن الاختلاط بين الجنسين، وأنّ النظام المعاصر يمكن تطويره وتعديله في ضوء حاجة الفتاة المتعلمة والمعلمة، وكيف أنّ تراجم الأعلام صورت أعدادًا كثيرةً من النساء المتفوقات علميًا واللاتي تعلمن عن طريق التعليم المنزلي (باحارث، ١٤٣٣ ب، ص١٥٢،١٥١).

وحول تولي المعلمات تدريس الذكور في الصفوف الأولية، وقف الباحث على عدة دراساتٍ لمناقشة الموضوع بين من ينصر هذا التوجه، ومن يرد على المناصرين.

ففي مؤتمر فقه الموازنات ودوره في الحياة المعاصرة، قدمت باحثتان دراسةً بعنوان (تعليم المعلمات للذكور في الصفوف الأولية في صفوف منفصلة في ضوء فقه الموازنات).

وخرجتا بنتائج أبرزها: أن دمج البنين في مدارس البنات يخالف ما دلت عليه الدراسات من الانعكاسات السلبية، خصوصًا على الذكور وتأثر رجولتهم، وفساد أخلاق الجنسين.

ويقابلها دراسةٌ ميدانيةٌ تناصر تعليم المعلمات للذكور في الصفوف الأولية، وعنوانها (تقويم تجربة تأنيث هيئة التدريس في بعض المدارس الابتدائية للبنين بدول الخليج العربي– دراسة ميدانيةتحليلية).

من إعداد فريق من الباحثين في المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج، ولقد خرجت الدراسة بنتائج من أبرزها:

-٧٣% من العينة ترى استمرارية تجربة تأنيث هيئة التدريس في المرحلة الابتدائي مع بعض التعديلات.

-٤٥% من أفراد العينة يرون أنّ أبزر التعديلات المقترحة قصر التجربة على الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية.

-العودة لتراثنا العربي والإسلامية والتعرف على مدى وجود مثل هذا النمط من التدريس.

(الصانع، واخرون، ١٩٨٥/١٩٨٤، ص ١٥٦-١٦٥).

وفي ضوء ما سبق يمكن صياغة مشكلة الدراسة في تساؤلات.

أسئلة الدراسة:

السؤال الرئيسي: ما آراء مفكري التربية الإسلامية حول الاختلاط بين الجنسين في التعليم بالصفوف الأولية؟

ومن السؤال الرئيسي تتفرع الأسئلة الآتية:

١. ما خصائص النمو لمرحلة الصفوف الأولية؟

٢. ما هي الانعكاسات الأخلاقية والعلمية لاختلاط الجنسين في التعليم بالصفوف الأولية من وجهة نظر مفكري التربية الإسلامية؟

٣. ما هي الانعكاسات الأخلاقية والعلمية لاختلاط الجنسين في التعلم بالصفوف الأولية من وجهة نظر المفكرين الغربيين؟

٤. ما هي الانعكاسات الأخلاقية والعلمية لتولي المعلمات تدريس الذكور بالصفوف الأولية؟

أهداف الدراسة:

١. التعرف على خصائص النمو لمرحلة الصفوف الأولية.

٢. التعرف على الانعكاسات الأخلاقية والعلمية لاختلاط الجنسين في التعليم بالصفوف الأولية من وجهة نظر مفكري التربية الإسلامية.

٣. التعرف على الانعكاسات الأخلاقية والعلمية لاختلاط الجنسين في التعليم بالصفوف الأولية من وجهة نظر المفكرين الغربيين.

٤. معرفة الانعكاسات الأخلاقية والعلمية لتولي المعلمات تدريس الذكور بالصفوف الأولية.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من خلال:

١. ندرة البحوث التي تعرضت لموضوع الاختلاط في الصفوف الأولية حسب اطلاع الباحث.

٢. مواكبتها للأفكار المطروحة للدراسة في الساحة التربوية والتعليمية.

٣. تحديد خصائص النمو لمرحلة الصفوف الأولية من جميع جوانبها والفروقات بين الجنسين.

٤. التعرف على الانعكاسات الأخلاقية والعلمية لاختلاط الجنسين في التعليم بالصفوف الأولية.

٥. التعرف على الانعكاسات الأخلاقية والعلمية عند تولي المرأة تعليم الذكور بالصفوف الأولية.

٦.أنّ هذه الدراسة قد تفيد المعلمين والمعلمات وأصحاب الاهتمامات التربوية في مجال تربية النشأ، وقد تساعد صاحب القرار من خلال نتائجها وتوصياتها.

مصطلحات الدراسة:

-الاختلاط بين الجنسين:

- معنى الاختلاط لغةً:

يقال: خَلَطَ الشيء بالشيء يَخْلِطُه خَلْطاً، وخَلَّطَه فاخْتَلَطَ: مَزَجَه، واخْتَلَطا وخالطَ الشيءَ مُخالَطة وخِلاطاً: مازَجَه.

والخِلاط: اخْتِلاطُ الإِبِل، والناسِ، والمواشي، ويقال: ... أَخْلاطٌ من الناس، وخَلِيطٌ، وخُلَيْطى، وخُلَّيْطى: أَي أَوْباشٌ مُجْتَمِعُون مُخْتَلِطُون.

وخلَط القومَ خَلْطاً، وخالَطَهم: داخَلَهم.

والخَلِطُ: المختلط بالناس المتَحَبِّبُ، يكون للذي يَتَمَلَّقُهم، ويتحَبَّبُ إِليهم، ويكون للذي يُلْقي نساءَه ومتاعَه بين الناس.

(ابن منظور، د.ت، ٧/٢٩١).

- المعنى الاصطلاحي المعاصر:

فالاختلاط بين الجنسين عرفه كثيرون، ولعل الباحث يختار الأقرب منها موافقةً لدراسته:

يقول قريشي(١٩٩٥)تعريف التعليم المختلط بأنه:"تواجد الجنسين ينين وبنات داخل نفس الفصل الدراسي ونفس المدرسة يتلقيان نفس المواد العلمية من قبل نفس المدرس في ظروف واحدة "ص ٢٦

وتذكر علوان (١٩٩٢) حول تعريف الاختلاط :"ذلك النمط التعليمي الذي يتواجد الطلاب

الذكور مع الطالبات الاناث والمعلمة في الفصول التعليمية وأماكن مزاولة الأنشطة التعليمية والترفيهية على السواء " .ص ٦

وكلا التعريفين ركزا على الاختلاط في التعليم، وبالأخص الاختلاط داخل الفصل الدراسي.

ووقف الباحث على تعريفٍ قصيرٍ في مبناه، جميلٍ في معناه وشموليته، وهو ما عرفه المسميري والهبدان (١٤٣١) فقالا في تعريف الاختلاط: «اللقاء المباشر المقصود بين الجنسين غير المحارم، مع إمكان التحرز منه».ص ٥

فالاختلاط في التعليم مقصودٌ، ويطرح المؤيدين له أنّ له منافع تعود على العملية التعليمية، ومما يضيفه التعريف ولم يقف الباحث على ضابطٍ مثله قولهما: «مع إمكان التحرز منه»، فالاختلاط في أماكن العبادة مثلًا ليس مقصودًا لذاته، ولا يمكن التحرز منه بسهولةٍ.

أما الاختلاط في التعليم فهو مقصودٌ، وبالإمكان التحرز منه بالفصل بين الجنسين، ولكل جنسٍ مدرسته ومعلموه، لذلك يعتبره الباحث التعريف الإجرائي لدراسته.

- المفكرين:

وقد يكون مصطلح المفكرين هو أهم المصطلحات في الدراسة، والتي تحتاج إلى إيضاحٍ وإبانةٍ، خصوصًا أنّ هذا المصطلح قد يُعتبر من المصطلحات الحادثة، فوجد الباحث قلةً في الموضحين لمصطلح المفكر، فمن الذين أوضحوا هذا المصطلح د. عبدالكريم بكار، ومما جاء في تعريفه وقد أطال فيه:

أنّ المفكر يحاول أن يؤسس أسسًا لقراءة الماضي والاستفادة منه، وقراءة الحاضر والتعرف على العلاقات بين القوى المؤثرة فيه، وهو منشغلٌ بصياغة المفاهيم واستخلاص العبر، ومهتم بإصلاح الواقع وتشخيص الأزمات التي يعاني منها الناس (بكار، ١٤٣١، ص ١٦، ١٧).

وفي ضوء هذا يمكن تعريف المفكر إجرائيًا بأنّه:

كل من لديه حصيلةٌ معرفيةٌ، وله إسهاماتٌ في إصلاح مجتمعه، في أي مجالٍ في المجالات الدينية والدنيوية، ويتبنى رؤىً وأفكارًا يطرحها عبر كتبه ومؤلفاته، أو عبر أي وسيلةٍ تسهم في نشر الوعي، ويرتكز في هذا كله على مصادر أصيلةٍ وقواعد علميةٍ.

- **الصفوف الأولية :**

يقول الزايدي :"الصفوف الأولية هي جزء من التعليم الأساسي الالزامي في المملكة العربية السعودية تبدأ من الصف الأول وتنتهي باللصف الثالث ". ص ٧

منهج الدراسة:

المنهج المستخدم في هذه الدراسة: هو المنهج الوصفي القائم على الوصف، وجمع المعلومات وتنظيمها.

ولقد عرَّف المنهج الوصفي عبيدات (١٤٢٤) بقوله: «دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع، ووصفها وصفًا يعبر عنها تعبيرًا كيفيًا أو تعبيرًا كميًا» ص ٢٤٧.

وممن عرَّف المنهج الوصفي ربيع (٢٠٠٦) وذكر بأنّ المنهج الوصفي يُعتبر هو الطريقة المنظمة لدراسة حقائق راهنةٍ، وتكون هذه الحقائق متعلقةً بأوضاعٍ معينةٍ أو أحداثٍ، أو بظاهرةٍ أو موقفٍ أو أفرادٍ، وهذا كله الهدف منه الاكتشاف، والتحقق من صحة حقائق قديمةٍ وآثارها، أو اكتشاف حقائق جديدةٍ، والعلاقات التي تتصل بها وتفسيرها، وكشف الجوانب التي تحكمها. ص ٦٢

وكان استخدام هذا المنهج لهذه الدراسة من خلال جمع المعلومات عن فصول الدراسة بجميع مباحثها، وذلك عن طريق دراسةٍ وصفيةٍ وتحليليةٍ للاختلاط بين الجنسين في التعليم بالصفوف الأولية، وتولي المرأة تعليم الذكور، ومن ثمَّ دراسة الانعكاسات من خلال آراء مفكري التربية الإسلامية، وكذا الرؤى الغربية، وكيفية الاستفادة منها في ميدان التربية والتعليم.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على حد علمه على دراسةٍ لمدى صلاحية الاختلاط بين الجنسين في الصفوف الأولية من وجهة نظر مفكري التربية الإسلامية، لكن هناك دراساتٌ عامةٌ تناولت الموضوع من حيث عدة جوانب، وهي:

أولًا: دراسة عدنان حسن باحارث (١٤٣٣هـ ، أ) **وهي بعنون «مواقف الاختلاط بين الجنسين ودورها في إثارة الغريزة الجنسية في ضوء التربية الإسلامية».**

هدفت الدراسة إلى:

* الكشف عن الطبيعة الفطرية للإثارة الجنسية في مواقف الاختلاط بين الجنسين.

* التعرف على موقف الشريعة الإسلامية وعلمائها من قضية الاختلاط بين الجنسين.

* التحقق من طبيعة مواقف الاختلاط بين الجنسين في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي.

* إبراز حجم المعاناة الجنسية لدى الشباب من مواقف الاختلاط بين الجنسين.

* الرد على الشبه المثارة حول موقف التربية الإسلامية من الفصل بين الجنسين.

وقد توصل الباحث إلى:

– أنّ التربية الإسلامية تبنت مبدأ الفصل بين الجنسين في مختلف مناشط الحياة العامة، عملًا بواقع الممارسة الاجتماعية عبر التاريخ الإسلامي.

– تثير مواقف الاختلاط بين الجنسين مكامن الغريزة الجنسية وتدفع الجنسين إلى سلوكياتٍ مشينةٍ، يصعب في الغالب ردها إلا بالمنع من الاختلاط، أو تضييق فرصه الاجتماعية.

– طبيعة التجاذب بين الجنسين في مواقف الاختلاط الاجتماعية سلوكٌ فطريٌ يستحيل إلغائه أو كفه، إلا حيث تتبدل الفطرة الإنسانية السوية وتتجه نحو الشذوذ الجنسي المقيت.

- يعم الاختلاط بين الجنسين أكثر مجتمعات العالم ضمن سلوكيات وممارسات، وتعارض في غالبها الوجهة التربوية الإسلامية.

تتفق هذه الدراسة مع دراسة الباحث في الحديث عن الاختلاط بين الجنسين عمومًا وآراء مفكري التربية الإسلامية، وتختلف عنها في تخصيصها الحديث عن الاختلاط في التعليم، بل بالأخص عن مرحلة الصفوف الأولية وآراء مفكري التربية الإسلامية حول الاختلاط فيها.

ثانيا: دراسة خالد بن عثمان السبت (١٤٣٣هـ) وهي بعنوان: «الاختلاط بين الجنسين في الميزان».

هدفت الدراسة إلى:

* بيانٍ علميٍ شرعيٍ بحكم الاختلاط الذي يكون باجتماع الرجال والنساء غير المحارم، في مكانٍ واحدٍ بلا حائلٍ، من غير موجبٍ، وفيما يمكن التحرز منه، سواءٌ كان ذلك في مجال التعليم أو العمل، أو المؤتمرات أو المنتديات، أو الاحتفالات والمناسبات، أو غيره مما يعد لاجتماع الجنسين.

* أيضًا هدفت الدراسة إلى بيان الحق فيها بدلائله من الكتاب والسنة، وما يتعلق بذلك من القواعد الشرعية، مع بيان ما كان عليه خيار هذه الأمة من الصحابة رضي الله عنهم، وأضاف المؤلف جملةً من أقوال العلماء على اختلاف مذاهبهم وعصورهم، وكلام العقلاء والحكماء وبعض المشاهير.

* بيان ما جناه الاختلاط من ألوان المفاسد.

وقد توصل الباحث إلى:

- مفهوم الاختلاط في كلام أهل العلم من أقوال الصحابة والتابعين والعلماء والفقهاء.

- عرض الباحث نماذج من كلام الفقهاء عن الاختلاط.

- توصل الباحث إلى فقدان الأمن والشعور بالخوف والقلق في النواحي الاجتماعية والسلوكية.

- المرأة هي الخاسر الأكبر.

- إعادة النظر في الأنظمة والقوانين، والتي تسوي بين الرجل والمرأة.

- تتفق هذه الدراسة مع دراسة الباحث في الحديث عن الاختلاط بين الجنسين، ولكن تختلف في أنّها تتحدث عن آثار الاختلاط عامةً في جميع مجالات الحياة، ولم تتطرق الدراسة إلى آثاره في الصفوف الأولية التي هي محض دراسة الباحث.

ثالثا: دراسة إبراهيم بن عبدالله الأزرق (١٤٢٩) وهي بعنوان: «الاختلاط في التعليم النشأة والآثار».

هدفت الدراسة إلى:

* تنمية روح الولاء للشريعة الإسلامية، وذلك بالبراءة من كل نظامٍ أو مبدأٍ يخالف هذه الشريعة، واستقامة الأعمال والتصرفات وفق أحكامها العامة الشاملة.

وقد توصل الباحث إلى:

- لم ينشأ الاختلاط في الغرب عن دراساتٍ صحيحةٍ تثبت فوائده في التعليم.

- نشأ الاختلاط في العالم الغربي لأسبابٍ دعت إليها ظروف المرأة ووضعها المغري.

- بدأت بعض الدول الغربية –وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية المتحدة– في الرجوع عن فرض الاختلاط.

- الاختلاط في التعليم ببلاد المسلمين يتعارض مع ما ينبغي أن تكون عليه سياسات التعليم.

- تتفق هذه الدراسة مع دراسة الباحث في الحديث عن الاختلاط بين الجنسين في التعليم

وآثارها، وإيراد بعض الخصائص لمرحلة الصفوف الأولية، وتختلف في أنّها لم تتطرق لآراء مفكري التربية الإسلامية حول الاختلاط بين الجنسين بالصفوف الأولية خاصةً.

رابعا: دراسة سعيد بن علي بن وهف القحطاني (١٤٣٢) وهي بعنوان: «**الاختلاط بين الرجال والنساء مفهومه، أنواعه، أقسامه، أحكامه، أضراره في ضوء الكتاب والسنة، وآثار الصحابة**».

هدفت الدراسة إلى:

- تعريف الاختلاط وأنواعه وأقسامه.
- حكم الاختلاط.
- الأدلة على تحريم اختلاط النساء بالرجال الأجانب عنهن.
- أضرار الاختلاط ومفاسده.

توصل الباحث إلى:

- ثبوت تحريم الاختلاط عند علماء الإسلام من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، وأنه فيه أضرارًا على الفرد والمجتمع.

- تتفق هذه الدراسة مع دراسة الباحث في الحديث عن أضرار الاختلاط، وتوضيح الآثار الواردة عن مفكري الإسلام وعلماءه، وتختلف عنها في أنّها تحدثت عن الاختلاط في جميع المجالات، ولم تقتصر على التعليم، ولم تتطرق لتولي المعلمة لتنشئة الصبيان.

سادسا: دراسة أفنان التلمساني وابتسام القرني بعنوان: «**تعليم المعلمات للذكور في الصفوف الأولية في صفوف منفصلة في ضوء فقه الموازنات**».

هدفت الدراسة إلى:

- توضيح الرؤية الشرعية في تعليم المعلمات للذكور في الصفوف الأولية في صفوفٍ منفصلةٍ.

- تبين مبررات المؤيدين لتعليم المعلمات للطلاب الذكور في الصفوف الأولية في صفوفٍ منفصلةٍ.

- طرح أدلة المعارضين لتدريس المعلمات للذكورالصفوف الأولية ولو كانوا في صفوفٍ منفصلةٍ.

- مناقشة الآراء.

- الموازنة بين الأقوال في مسألة تعليم المعلمات للذكور في الصفوف الأولية في صفوفٍ منفصلةٍ.

ولقد توصلتا الباحثتين إلى:

- من باب سد الذرائع الموصلة إلى الحرام والفساد والتي هي من مقاصد الشريعة وما دونه علماء الشريعة من أدلةٍ وأقوالٍ لهم، فاختلاط البنين والبنات في مدرسةٍ واحدةٍ يتعارض مع فطرة الجنسين وسيجلب لهم مفاسد، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

- الدراسات المعاصرة تؤكد فشل تعليم البنين في مدارس البنات، وتثبت انعكاس هذا الأثر على رجولة الأولاد بالسلب، وقد يصل للانحراف في هذا العمر المبكر.

- تتفق هذه الدراسة مع دراسة الباحث في الحديث عن التعليم في الصفوف الأولية وتولي المعلمات لتدريس الذكور.

- وتختلف معها في أنّ حديثها من حيث فقه الموازنات، بينما الباحث طرحها من حيث آراء مفكري التربية الإسلامية، ودراستها تقرر أنّ كل مجموعة من الذكور والإناث في صفوفٍ منفصلةٍ، بينما طرح الباحث دراسته عامةً بلا تخصيصٍ: هل سيكون الاختلاط في الفصول أم لا.

الفصل الثاني: خصائص النمو لمرحلة الصفوف الأولية:

وفيه مباحث:

المبحث الأول: النمو الجسمي.

المبحث الثاني: النمو الحركي.

المبحث الثالث: النمو العقلي.

المبحث الرابع: النمو اللغوي.

المبحث الخامس: النمو الانفعالي.

المبحث السادس: النمو الاجتماعي.

المبحث السابع: النمو الجنسي.

تمهيد:

يجدر بنا في هذه الدراسة أن نتعرف على خصائص النمو لمرحلة الصفوف الأولية من خلال علم نفس النمو، والذي يفيد في فهم سلوك الطفل ودافعه والتنبؤ بسلوكياته، فهذه الخصائص تفيد المهتمين بالعملية التربوية والتعليمية، بحيث يراعون هذا الجانب عندما يودون إصدار قرارٍ أو توجيهٍ في التطوير والتنمية للتعليم.

فعلم نفس النمو كما يقول زهران (٢٠٠٥) "بالنسبة للمربيين يساعد في معرفة خصائص الأطفال والمراهقين، ومعرفة العوامل التي تؤثر في نموهم، وفي أساليب سلوكهم، وفي طرق توافقهم في الحياة، وفي بناء المناهج، وطرق التدريس، وإعداد الوسائل المعينة في العملية التربوية" ص١٧

والمتبنون لفكرة الاختلاط بين الجنسين في الصفوف الأولية يرون أنّ الاختلاط من الوسائل المعينة في العملية التربوية والتعليمية؛ لذا أحب الباحث أن يتعرف على وجهة نظر المختصين في علم نفس النمو حول طبيعة المرحلة وخصائصها.

ومن المعلوم أنّ مرحلة الصفوف الأولية تبدأ من عمر (٧-٩) سنواتٍ، وتسمى هذه المرحلة في علم نفس النمو: الطفولة الوسطى، وبعض الباحثين يُدرج هذه المرحلة ضمن مرحلة الطفولة المتأخرة.

وسنستعرض بعض الجوانب المهمة في خصائص نمو هذه المرحلة، وسيورد الباحث عند كل مبحثٍ المظاهر العامة للنمو، ثم يذكر الفروق بين الجنسين.

المبحث الأول: النمو الجسمي:

هذه هي مرحلة النمو الجسمي البطيء المستمرة، وله مظاهر منها ما يراه سالم (١٤٣٣) أنّ الطفل في هذه المرحلة -بل في السنة السابعة تحديدًا- يفقد الكثير من التناسق العضوي، والذي كان يزين الطفل قبل هذا السن في أعين الكبار، بل يبدو على الطفل كأنّه قلقٌ، إذ إن ذراعيه وساقيه ينموان بصورةٍ أسرع من نمو جذعه، وهذا ما لم يتعوده من قبل. ص١٦١

ولعل سرعة نمو أطراف الطفل من رحمة الله بهذا الطفل؛ حتى يتهيأ للخروج من محضنه الأول -وهو الأسرة- ليعايش المجتمعات الجديدة، ففي عمر سبع سنواتٍ سيؤمر بالتوجه للمسجد، ويخالط جماعة المسجد، وأيضا يتجه لمجتمع المدرسة، وكلاهما يحتاجان لبنيةٍ جيدةٍ تمكنه من مسايرة جماعة الرفاق والأصحاب.

يقول زهران (٢٠٠٥): «تبدأ سرعة النمو الجسمي في التباطؤ، ويصل حجم الرأس إلى حجم رأس الراشد، ويتغير الشعر الناعم ليصبح أكثر خشونةً، وتتساقط الأسنان اللبنية وتظهر الأسنان الدائمة».

الفروق بين الجنسين:

أما الفروق بين الجنسين في النمو الجسمي لهذه المرحلة فيؤكد الأزرق (١٤٢٩) أنّ هناك تمايزًا في مهارات الرؤية في الضوء من حيث السطوع والخفوت، فالأطفال الذكور تجد عندهم ميولًا للضوء الساطع، وتفوق على الإناث في حال الإضاءة الساطعة في الفصل أو الغرفة.

وعلى العكس الإناث، فتجد لديهم الرغبة في الضوء الخافت، ويتفوقون على الذكور عندما تكون إضاءة الفصل أو الغرفة خافتةً. ص١٢١

ولا شك أنّ هذا سيخلق إشكالًا فيما لو كان الفصل الدراسي يحوي على ذكورٍ وإناثٍ، فلابد

أن يراعى عند إضاءة الفصل الجو الصحي والمناسب للعملية التعليمية، فهل تلبي رغبة الذكور أم الإناث.

ولو سِرْنا على القول بأنّه يفصل كل جنسٍ في فصلٍ مستقلٍ، فكيف سيكون التعامل مع إضاءة المرافق المشتركة من الممرات والمعامل وغيرها.

ومن الفروق كذلك ما يذكره زهران (٢٠٠٥) في الطول ووجود تمايزٍ بينهم، فالذكور يكونون في هذه المرحلة أطول قليلًا من الإناث، بخلاف الوزن فتجد بينهم تساويًا تقريبًا.

وهذا قد يؤثر على الذكور عندما يسير المعلم في توزيع الطلاب وفق الطول والصغر، فالطوال يكونون في المؤخرة، وقد يوجد من بينهم من لديه ضعفًا في البصر أو السمع، فتأخيره يؤثر على مستوى تحصيله الدراسي.

المبحث الثاني: النمو الحركي:

تعد مرحلة الصفوف الأولية من المراحل المتعارف عليها عند المعلمين والمعلمات بكثرة الحركة، ولابد للمعلم أن يوطن نفسه لتحمل النشاط الزائد لديهم، وأن يراعي تفريغ هذا الاحتياج، وعدم كبته، ومنع الطالب من أن يمارس شيئًا جُبل عليه في هذا السنِّ.

بل الملاحظ زيادة حركة الأطفال في هذه المرحلة وقلة تعبهم، حيث يشير همام (١٩٨٤) إلى أنّ الطفل في هذه المرحلة يقل تعبه، مع أنّه يزداد لديه النشاط الحركي واللعب، وتجدهم يتعلمون المهارات الجسمية والحركية، ويتميز الطفل باعتماده على نفسه في إشباع كل احتياجاته.

ويذكر أنّه تتهذب الحركة عندهم، وتزداد السرعة والثقة بشكلٍ واضحٍ، ويزداد التآزر بين اليدين والعينين. ص١٩٧

وهذه السمات من المهم أن يتعرف عليها المعلمون والمعلمات؛ ليستطيعوا أن يجعلوها نقاط قوةٍ في مجال إيصال المعلومة، ومن الأمور المشكورة ما هو مقررٌ في وزارة التربية والتعليم من تقديم دورةٍ في مهارة التعليم باللعب، وكيفية استخدام اللعب كوسيلةٍ تعليميةٍ لإيصال المعرفة للأذهان وخصوصًا للأطفال، فمثل هذه الدورات تساهم في رفع الوعي لمعلم الصفوف الأولية لخصائص هذه المرحلة، بل وجعل هذه الخصائص هي الوسيلة لما يريده المعلم من إيصال معارف وقيمٍ تربويةٍ تساهم في تنشئة هذا الطفل، وفق مبادئ التربية الاسلامية.

ومن الأمور الجميلة في مظاهر النمو الحركي لهذه المرحلة ما ذكره سالم (١٤٣٣) أنّ من أهم ما يتميز به الطفل سرعة استيعابه، وأيضًا تجد لديه سرعةً في تعلم الحركات الجديدة، فتجد الأطفال يتألقون في حسن التوقيت والانسيابية، وهذا كله يساهم في زيادة حركته ولعبه، وفي هذا السن تنمو حاسة اللمس نموًا كبيرًا. ص١٦٣

فإذا تقرر أنّ من سماته البارزة سرعة استيعابه، فمن الأولى أن يبدع المعلمون والمعلمات في غرس الأخلاق الفاضلة والنبيلة، وربطه بالأخلاق الإسلامية، التي حث عليها الكتاب والسنة، وأن يجعل قدوته في أخلاقه وتعاملاته النبي العظيم محمدًا ﷺ، وهذا الربط والاهتمام من أقوى الأساليب في بناء الشخصية الاسلامية.

الفروق بين الجنسين:

ولقد خلق الله الذكر والأنثى، وفرق بينهم في الخلقة، فالرجل أقوى بنيةً من المرأة، وكذلك الأطفال في الصفوف الأولية، يختلف تكوين الذكور عن الإناث. ويؤكد مدن (١٤٢٧) ذلك الاختلاف بين الذكور والإناث لما أجرى بعض العلماء عليهم اختبارات القوة العضلية، وجد أنّ الذكور يتفوقون على الإناث حتى في السرعة، والتنسيق بين حركات العضلات الضخمة، وفي المقابل وجدوا أنّ الإناث يتفوقن على الذكور لما أجروا بينهم اختبارات في المهارة اليدوية. ص١٩٩

ولو تأملنا هذه الفروق لرأينا أنّ الذكور يناسبهم أن يكون ضمن مقرراتهم التربية البدنية، والتي تتضمن كرة القدم والقفز وغيرها من الألعاب، التي هي مقررٌ ضمن منهج التربية البدنية، بل هي من الحاجيات اللازمة لتفريغ طاقة الأطفال الحركية، بينما لا تتناسب مع طبيعة النمو الحركي للإناث.

لكن يقابلها مقرر التربية الأسرية المناسب للإناث، والذي يتضمن تعلم فنون الطبخ والخياطة، والتي يبدع فيها الفتيات؛ لتميزهن في المهارة اليدوية، ولا تلائم الذكور بل تنفر منه نفوسهم.

ويقول عبد الرحيم (١٩٨٧) معززًا وجود الفروقات "تتميز حركات الأولاد في هذه المرحلة بأنّها شاقةٌ وعنيفةٌ، كالتسلق والجري، ولعبة الكرة، وتكون حركة البنات أقل كمًا وكيفًا".ص٢٠٧

ويزعم الأزرق (١٤٢٩) أنّ الأولاد يميلون للتحرك في مساحاتٍ أوسع من البنات، فلو فرضنا أن يجلس ولدٌ وبنتٌ على طاولةٍ واحدةٍ ، فغالبًا نجد الولد قد يتجاوز مكانه ، ويأخذ جزءًا من مكان

البنت. ص٩٧

مما سبق من الفروقات يرى الباحث أنّ الأولى أن يهيأ المبنى المدرسي لكل جنسٍ بما يناسبه من خصائص واحتياجاتٍ، فلكلٍ رغباته وطاقاته التي يحتاج إلى أن يفرغها، لكنّ الأدوات والاحتياجات تختلف، فيراعى كل جنسٍ، ولا يظلم جنسٌ على حساب الآخر، حتى نساهم في تكوين الطفل بشيءٍ من الشمولية والتكامل.

المبحث الثالث: النمو العقلي:

من أعظم الخصائص التي ميز الله بها الإنسان عن باقي المخلوقات العقلَ، وغذاء العقل هو العلم والمعرفة، كما أنّ غذاء الجسد الطعام والشراب.

فالطفل في هذه المرحلة يبدأ التحاقه بالمدرسة، وهذا يزيد من نموه العقلي، ليس لأجل ما فيه من معارف ومعلوماتٍ، بل حتى الانفتاح على مجتمعٍ جديدٍ عليه كطفل يسهم في نمو عقله.

ويزعم سالم (١٤٣٣) أنّ هذه المرحلة التي يخرج فيها الطفل من المنزل ومن كنف والدته إلى المدرسة، بأنّه يميل إلى تحقيق ذاته، وتجده يزداد نشاطه وطاقته عن ذي قبلٍ، حتى في تعامله مع الأمور يميل إلى الجدية التامة، ويتوقع ممن حوله من الكبار أن يكونوا جادين. ص١٦٤

فالمعلم المميز والذي يطمع لصناعة رجال المستقبل من أول يومٍ يرى فيه هذا الطفل، يُشعره بالاهتمام وأنّ له مكانةً عنده، ويحاوره بجديةٍ تناسب سنه، ليصقل عقله ويرفعه إلى السمو والمعالي، فلو أردنا أن نصنع نفوسًا كبيرةً تعتز بدينها وبقيمها الإسلامية؛ فلنخاطب العقول منذ الصغر لتكبر، ويكبر اعتزازها بقيمها ومبادئها، ولا يعني هذا أن يعاملوا كما يعامل الرجل الراشد في الكلمات أو التعاملات، بل يخاطب الطفل بما يناسب إدراكه وعقليته، وتراعي طاقته ونشاطه، ويفرغان باللعب والحركة، ويستخدم هذا اللعب في تنمية عقله.

ويرى همام (١٩٨٤) أنّ الطفل في هذه المرحلة ينمو لديه حب الاستطلاع، وينتقل تخيله إلى الواقعية والتركيب، بدلًا من الايهام الذي كان يتخيله، حتى التفكير يصبح لديه إدراك المجردات بعد أن كان يدرك المحسوسات، ويزداد مدى الانتباه وحدته، وتنمو ملكة الحفظ، وتزداد قدرة الطفل على التركيز، وينمو من التذكر الآلي إلى التذكر والفهم.

ويطرد نمو الذكاء عنده، ويستمر نموه العقلي بصفةٍ عامةٍ، ويكون نموه سريعًا، وفي هذه المرحلة

يلاحظ أنّ الطفل يميل لاستماع الحكايات والقصص، ويحب مشاهدة التلفاز أكثر. ص١٩٩

والقرآن قد وصف القصص بأنّها تزيد في نمو العقل والتفكير، حيث قال الله: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾ (يوسف:١١١)

فمن المناسب العناية بالطفل في هذه المرحلة ونموه العقلي، وأن يهتم المعلم بالقصص التي تغرس الأخلاق الفاضلة، وإيصال الرسائل بصورةٍ مبسطةٍ تناسب مرحلته وعقليته.

والأطفال في هذه السن يتميزون بالحفظ والفهم السريع، الذي يسهل على المعلم إيصال المعرفة والمعلومات، فلا يظن بأنّه صغيرٌ ولا يفهم، بل إنه يستطيع إدراك الكثير المناسب لمرحلته، وينمو تفكيره بشكلٍ كبيرٍ مقارنةً لما قبل الدراسة.

الفروق بين الجنسين:

من الأمور العجيبة أنّ هناك فروقًا حتى في نمو الدماغ بين الجنسين، حيث يقرر الأزرق (١٤٢٩) أنّ بعض الباحثين يرى أنّ دماغ الإناث يتطور بسرعةٍ في مقابل دماغ الذكور، ثم يبدأ يتناقص مع مرور الزمن في كثيرٍ من وظائفه ، ثم إذا بلغ الذكر و الأنثى سن الثلاثين يتساويان تقريبًا.ص٧٢

فسبحان الله الذي جعل دماغ الأنثى أسرع في النمو والقدرات العقلية، ولو تأملنا الحال في المراحل الدراسية –كالمرحلة الابتدائية– نجد أنّ التفوق الدراسي في المجمل يكثر في جانب الفتيات، ولعل سبب ذلك ما ذكره الباحث في سرعة تطور ونمو الدماغ لدى الأنثى وسرعة استيعابها؛ لأن المناهج الدراسية لدى البنين والبنات موحدةٌ، والتميز في الغالب لدى البنات أكثر.

ومما يذكر من الفروق في النمو العقلي ما قرره زهران (٢٠٠٥) من أنّ بداية مرحلة الطفولة الوسطى يتفوق الإناث على الذكور في الذكاء بحوالي نصف سنةٍ. ص٢٥١

ولعل هذا الرأي موافقٌ لما ذكره سابقًا الأزرق في تطور نمو دماغ الاناث بشكلٍ أكبر من الذكور.

ومن الفروق بين الجنسين: الطريقة الأنسب في إيصال المعلومة من حيث الإسهاب في شرحها أو الاختصار، حيث يقول الأزرق (١٤٢٩) "البنون قد يحتاجون للسؤال عن برهانٍ أوضح، دون كلامٍ كثيرٍ متشعبٍ، أما البنات فيفضلن أسلوب التدريس المتشعب أكثر من التسلسل منطقيًا".ص٩٧

أما من جهة الاختبارات وآلية وضع الأسئلة فتوجد فروقٌ أكدها الأزرق (١٤٢٩) أنّ الإناث يتميزن في أداء الاختبارات التي تعتمد على الإجابة عن أسئلة مسموعةٍ، بينما يقابلهم الذكور يتميزون في الاختبارات القائمة على اختيار الإجابة الصحيحة. ص١١٩

ولعل السبب في تميز الإناث في الأسئلة المسموعة هو لأمرٍ عضويٍ يتميز فيه الإناث عن الذكور فيما أشار إليه فريقٌ فرنسيٌ حيث يقول الأزرق (١٤٢٩) "أشار فريقٌ فرنسيٌ إلى أنّ خلايا شعر الأذن عند البنات أيبس منها لدى البنين، وهذا يشير إلى أنّها أكثر حساسيةً، وقد أفاد هذه النتائج أكثر من بحثٍ". ص١٠٢

وهنا يتبين لنا حكمة الله في خلقه، ومدى ملائمة كل جنسٍ لتعليم مثيله، فالمرأة لما تتحدث في الفصل الدراسي بصوتها الناعم والهادئ، فهو مناسبٌ لبنات جنسها المميزات في تكوين الأذن وقوة السماع، بينما لا يناسب الذكور بل قد ينفرهم.

وإذا نظرنا إلى المعلمين الذكور وصوتهم العالي، والذي يناسب الذكور ويزعج الإناث غالبًا، وهذا كله من عظيم خلق الله.

ويؤكد ذلك دراسة ليونارد ساكس والتي أشارت إليها التلمساني والقرني (١٤٣٤)، حيث كان يفد إلى عيادته بشكل ملفتٍ للنظر طلاب من الصف الثاني والثالث الابتدائي –فقد كان د. ساكس خبيرًا في علم النفس ومدير منظمة (NASSPE) وهي الجمعية الوطنية للتعليم الأهلي غير المختلط بأمريكا– ومع كل واحدٍ ورقةٌ مدونٌ فيها طلبٌ بفحص من مرض اضطراب العجز عن التركيز، والتأكد

من عدم إصابته به، وبعد التقصي من د. ساكس وجد أنّ المعلمة تتكلم بنبرةٍ مناسبةٍ لقدراتها وما وهبها الله كأنثى، وهو مناسبٌ لبنات جنسها في فصلها، بينما أغلب الأولاد لم تستطع المعلمة شد انتباههم، وتراهم يتشاغلون عنها، وتظن أنهم مصابون بمرض اضطراب العجز عن التركيز، والصواب أنهم سليمون في سمعهم وقدراتهم الذهنية، إلا أنّهم يحتاجون للمعلم الذكر الذي يناسب قدراتهم. ص ٢٥٤١

فإذا كان هذا التقييم من طبيب نفسٍ مختصٍ، ويدون نتائجه من ميدان دراسة الباحث، وهي الصفوف الأولية، وخرج ساكس بأنّ صوت المرأة لا يتوائم مع الطفل الذكر، بل قد يُسهم في انصرافه عن العملية التعليمية، وانصراف عقله وتركيزه، للاختلاف في القدرات، فالأولى الاهتمام بمثل هذه الدراسات، وإجراء دراساتٍ مثيلةٍ.

المبحث الرابع: النمو اللغوي:

يعتبر النمو اللغوي من أهم جوانب النمو في هذه المرحلة، من حيث التمايز بين الجنسين وعلاقته بجوانب أخرى.

وبما أنّ هذه المرحلة هي التي يدخل فيها الطفل مجتمعًا جديدًا عليه، ويعتبر أكثر عددًا من حيث الأفراد الذين سيلتقيهم كل يومٍ، لذلك ستزداد مفرداته اللغوية والكلمات الجديدة عليه، ويؤكد هذا زهران (٢٠٠٥) بأنّ الطفل حينما يدخل إلى البيئة المدرسية فلديه مخزونٌ من المفردات يحوي أكثر من ٢٥٠٠ كلمةً، ومع اختلاطه في البيئة الجديدة تزداد بما يقارب ٥٠% من عدد المفردات المخزونة في السابق.

والأمر الجديد أيضًا من حيث المفردات تبدأ مرحلة تكوين الجمل المركبة الطويلة.

ولأنّه يبدأ بتعلم الكتابة أيضًا فإنّ التعبير اللغوي عند الطفل يزيد على كونه شفويًا، ويصبح معه التعبير التحريري. ص٢٦١

ومن المعلوم أنّ البيئة المدرسية منفتحةٌ مقارنةً بالأسرة، فالمفردات التي يتلقاها الطفل جُلها من الوالدين والإخوان، وتعبر غالبًا عن ثقافة الأسرة الأخلاقية والدينية والاجتماعية، فإذا خرج إلى المدرسة فسيعود للأسرة بمفرداتٍ جديدةٍ على ثقافة الأسرة.

وهنا يبدأ دور الوالدين في تعزيز المصطلحات الإيجابية، والتي تتوافق مع مبادئ التربية الإسلامية، وينبه على المفردات السلبية بأنّها تخالف ما تربى عليه الطفل من قيمٍ إسلاميةٍ.

ويزعم عبد الرحيم (١٩٨٧) أنّ الطفل في هذه المرحلة لديه القدرة على التمييز بين المترادفات، ويستطيع أن يكشف عن الأضداد، وأنّ الخبرة المباشرة والعلمية وكتب القراءة؛ هي الوسيلة الوحيدة لزيادة المحصول اللغوي للطفل في هذه المرحلة.

بل ويرى أنّه يجب أن تكون الكتب مصورةً، وألوانها جذابةً، فاللون يلعب دورًا هامًا. ص٢٠٩

ومن النعم علينا في هذا الزمن توفر الوسائل التعليمية والتربوية التي تشمل إيصال المعلومة، ومنها الكتب المصورة.

وهناك جهودٌ مبذولةٌ ومشكورةٌ في إدارة المناهج والمحاولة للرقي بالعملية التعليمية من خلال التعرف على خصائص هذه المرحلة ومسايرة المناهج وفق ما يحتاجونه.

والمكتبة مليئة بالقصص المصورة والتي تعنى بالأطفال، وهناك دورٌ خصصت لكل مرحلةٍ من مراحل النمو القصص المناسبة لها، من حيث المحتوى المعرفي، والمفردات اللغوية من حيث سهولتها وتعقيدها، وكذلك من حيث الإخراج المناسب في الألوان والصور.

وهذا يُحتم على الآباء والمعلمين والمربين المزيد من العناية بمثل هذه القصص؛ لما فيها من عظيم الأثر الإيجابي في النمو اللغوي والمعرفي لدى الطفل، ويزيد من ثروته المعرفية، والعناية بتراثه التربوي الاسلامي على شكل قصصٍ تناسب عمره وقدراته.

والطفل في هذه المرحلة يبدأ يسمع كلماتٍ من القصص بحكم طبيعة التعليم وفصاحة الكلمات، لذلك يشير سالم (١٤٣٣) أنّ الطفل تصبح لديه ازدواجيةٌ ما بين العامية والفصحى، وتجد عنده التلاعب في بعض كلماته مزاحًا ومداعبةً، فالطفل كان في السن الخامسة يتصور حديثه حول ذاته، بينما في السادسة وما بعدها يتسع الحديث، وتجده ينعت الآخرين، ويسخر بهم وقد يشتمهم. ص١٦٥

الفروق بين الجنسين:

من أكثر الأبحاث -التي وقف عليها الباحث- والتي تطرقت إلى النمو اللغوي والفروق بين الجنسين فيها هو بحث الأزرق، فقد نقل في مواطن عديدةٍ من بحثه وجود فروقاتٍ واضحةٍ، حيث يقول

الأزرق (١٤٢٩) "لا ينبغي أن نندهش إذا علمنا أنّ البنات يتفوقن على البنين في تعلم اللغات وفي بدء الكلام، فمجرد ما يبدأ الأطفال في النطق نلاحظ الفرق بينهم، فعبارات البنات أطول جملها أكثر من الأولاد الذكور". ص٨٠

وهذا ملاحظٌ لدى الأبوين أنّ الذكر أقل في حصيلته اللغوية والبنت أكثر انطلاقا في الحديث، بل حتى في بداية النطق والحديث نرى أن البنت غالبا تنطق في حديثها قبل الذكر.

وينقل لنا الأزرق (١٤٢٩) دراستين كلاهما تثبت أنّ البنات يتفوقن على البنين في التعبير اللغوي، سواءٌ بالكتابة أم التحدث، ففي دراسةٍ أجريت في جنوب أفريقيا وجدوا أنّ البنات في كل النشاطات الكلامية التي أجريت لهن يتفوقن على البنين.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية أجريت إحصاءات من قبل وزارة التعليم، فتوصلوا إلى نتيجةٍ تفيد أن كتابة البنات في الصف الثاني متوسط -ويسمونها المرحلة الثامنة- تعادل كتابة الأولاد في نهاية المرحلة الثانوية. ص٨٠

وهذا من عظيم خلق الله إذ إنّ البنات يتفوقن في مجال اللغة والتحدث والكتابة، والبنين لهم مجالٌ آخر، وكل ذلك من عدل الله أن يجعل لكل جنسٍ ما يميزه عن الآخر، فقال الله: ﴿ۅ ۉ ۉ﴾ (آل عمران:٣٦).

فمن قال بالمساواة بين الجنسين خالف الشرع والعقل والدراسات الحديثة، التي ميزت كل جنسٍ بصفاتٍ لا تصلح للآخر.

ويؤكد أستاذ علم نفس النمو الأول زهران (٢٠٠٥) لما تحدث عن النمو اللغوي ومظاهره، تطرق إلى الفروق بين الجنسين بأنّ البنات يتفوقن على البنين، بل ويسبقونهم في النمو اللغوي، وأوعز ذلك لسببين رئيسيين، الأول: سرعة نمو الإناث عن الذكور خلال هذه السنوات، والآخر: أنّ الإناث

يقضين وقتًا أطول في المنزل مع الكبار مما يزيد ثروتهم اللغوية. ص٢٦٢

ولعل ما ذكره زهران من كون الإناث يقضين وقتًا أطول في المنزل هو ما قرره ربنا جل وعلا في كتابه الكريم حيث قال الله: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ (الأحزاب:٣٣).

فمتى ما كان المسلم والمسلمة يسيران وفق مراد الله أفلحا، وكان لكلٍ من الجنسين ما يجعله الله له ميزةً عن الآخر، فالأولى أن يربي الوالدان الفتاة الصغيرة على القرار في بيتها، ففيه تربيةٌ على اتباع أمر الله، وفيه أيضًا إتمام لصفاتها التي جبلت عليها من ثراء اللغة لما بقيت في المنزل مع الكبار.

ويضيف الأزرق (١٤٢٩) في الفروق بين الجنسين في النمو اللغوي: أنّ الأولاد يتعلمون في صمتٍ، بينما البنات يتحدثن أثناء التعلم، وقد يتحدث الأولاد لأمرٍ يريدونه غالبًا وهو لفت الانتباه أو محاولة فرض السيطرة على المجموعة، وتجد البنات يستعملون اللغة العادية ويكثرون من ذكر التفاصيل، بينما الأولاد يميلون لاستعمال الرموز والمصطلحات التي يتعارفون عليها. ص٩٦

وهذا الفرق له آثاره الواضحة لو تم الاختلاط بين الجنسين في فصلٍ واحدٍ، أو قيل بتعليم المعلمات للذكور في فصولٍ مستقلةٍ، فالمعلمة الأنثى بطبيعتها الأنثوية –كما قررت الدراسة– تحب التفاصيل والإطناب وتتحدث بلغتها العادية، بينما الأولاد لا يحبذون التفاصيل والإكثار منها، وهذا التناقض في السمات الشخصية يعود أثره على العملية التعليمية بالسلب، وهذا ما لا يريده المربون والأكاديميون الراغبون في تطوير العملية التعليمية.

المبحث الخامس: النمو الانفعالي:

إنّ الوالدين في مرحلة الطفولة ما قبل الدراسة يجدون مشقةً في ضبط انفعالات الطفل، والحفاظ على اتزانه، ولعل قربه من والديه وعدم ابتعاده من الأمور التي تجعله يميل إلى الدلال وأن تلبى طلباته بلا تأخرٍ.

والمربي الناجح هو من يتزن بين تلبية الطلبات، وإشعار الطفل بالحب والعاطفة، وبين الحزم وعدم الدلال الذي قد يفسد أخلاقه وطباعه.

لكن المرحلة الأخرى التي يدخل فيها الطفل مرحلة الطفولة الوسطى والتي يبدأ فيها الدخول للمدرسة في مرحلة الصفوف الأولية، يبدأ الطفل بتغيير طبائعه وانفعالاته فيزعم سالم (١٤٣٣) أنّ طريقة طلبه للأشياء وتعبيره عن انفعالاته تختلف، فيترك طريقته السابقة التي يضرب الأرض برجليه فيها ويصرخ عندما لا تتحقق طلباته، وقد يعاند إذا لم يقتنع. ص١٦٨

فالمعلم والمعلمة لن يكون مثل الوالد في مستوى العطف، فمهما كان المعلم عطوفًا فلن يبلغ لعطف الوالدين غالبًا، لذلك تجد المعلم يعامله بمعاملةٍ متزنةٍ بين الثناء إذا أحسن والحزم إذا قصر، ولا يأبه له المعلم لو بدأ يحاول الدلال إذا قصر ليفلت من حزم معلمه.

وتعامله مع زملائه أيضًا سيجعله يتعامل بعقلانية أكثر من العاطفة في المرحلة السابقة، وهذا ينعكس على شخصيته العامة وانفعالاته، حتى في منزله وتعامله مع والديه.

ويؤكد ما ذكر سابقًا دويدار (١٩٩٣) بأنّ هذه المرحلة تمتاز بالاعتدال في حالة الطفل المزاجية وبالثبات الانفعالي ، وتجد الطفل يتحلى بضبط النفس أكثر مما سبق. ص٢٢١

وهذا التحول نتيجة طبيعية لتغير البيئة التي يتعامل معها الطفل، فالأخلاق تتأثر كثيرًا بالبيئة التي يعيش فيها الطفل.

بل هذا التحول والانفتاح المجتمعي يستهوي الطفل، فيرى عبد الرحيم (١٩٨٧) أنّ الطفل يبدأ في الاتجاه نحو العالم الخارجي وخاصةً تجاه غيره من الأطفال ليشبع حاجاته وميوله، بل إنّه يبدأ في الانفصال عن والديه وعن البالغين عمومًا وهذا أمرٌ ملاحظٌ. ص٢٠٧

فمن الخطأ أن يعامل الوالدان الطفل بنفس الطريقة في القرب منه، واستغراب ابتعاده الملحوظ من كنف الوالدين والسير في ظلالهم.

ويقصد الباحث بذلك ألا يصر الوالدان في أن يشرفا على كل تصرفات الطفل، بل ليأخذ الحرية المناسبة لعمره، بل ويشجع على تكوين علاقاتٍ مع مجتمع المدرسة، ويشار عليه بالاختيار المناسب والمواصفات المناسبة للصديق والجليس.

ويضيف زهران (٢٠٠٥) أنّ الطفل تتحسن علاقته الاجتماعية والانفعالية مع الآخرين، بل يُلاحظ أنّه يبدي الحب لمن حوله، ويحاول الحصول عليه بشتى الطرق، ويتميز بأنّه يحب المدح، ونجد أنّ العواطف والعادات الانفعالية تتكون وتتشكل في هذه المرحلة، فتراه يقاوم النقد لشخصه، ولكنه يميل إلى نقد الآخرين، وتجده يستطيع تقييم سلوكه الشخصي، وينمو لديه الشعور بالمسئولية.ص٢٦٣

الفروق بين الجنسين:

التحفيز والتشجيع يؤثر في النفس البشرية بشكلٍ ملحوظٍ حتى في الراشدين، بل إنّ هذا منهجٌ نبويٌ كان يستخدمه النبي ﷺ مع أصحابه بل مع كبارهم، وهذا التحفيز يؤثر بدرجةٍ أكبر عند الأطفال، والمعلم المؤثر هو الذي يعرف كيف يحفز طلابه، وكذلك المعلمة.

وقد ذكر الأزرق (١٤٢٩) أنّ البروفيسورة تريسي شورز وزملاؤها في جامعة روكفلر (Rockefeller) نشرت أوراقًا علميةً تفيد أنّ الضغط النفسي الناتج عن التنافس والتحدي والاستفزاز، وليس هو التهميش ولا الإشعار بالدونية، بل ولا التنقص، فهذا كله يحسن مسار التعليم

عند الذكور من حيوانات التجربة، وفي المقابل يضعف مسار التعلم في الإناث. ص٧٢

المعلم والمربي الناجح هو الذي يستطيع توليد روح التنافس الإيجابي في محضنه التعليمي والتربوي، فكلما كان الجو السائد هو التحفيز والمشاركة التنافسية كلما كان ذلك أدعى لاستيعاب المعارف والقيم بشكلٍ أفضل.

ومن المهم معرفة الطريقة الصحيحة للتحفيز، فقد يسير في طريقة خاطئة ويكون المردود عكسيًا، وقد يؤدي إلى نفورٍ من المعلم أو المادة، نتيجة الأسلوب المستخدم في التحفيز.

ويزعم الأزرق (١٤٢٩) أنّ المميزات التي تحفز البنات تختلف عن البنين، فلقد ذكرت بعض الدراسات والأبحاث أنّ وضع البنين في موضعٍ تحدٍ ومجابهةٍ يحسن من أدائهم، بينما هو يضعف منحى التعلم عند الإناث.

ولو أرادت المعلمة تحفيز الإناث الصغيرات فإنّهن يبدين اهتمامًا برضا الكبار، سواءً كانوا آباءً أو أساتذةً، وترى البنين يقل اهتمامهم بهذا، ويهتمون أكثر بالمادة نفسها، ولعل التبلد النسبي في مركز العاطفة في الدماغ لدى البنين مقارنةً بالإناث من أسباب هذا الأمر. ص١١٣

ويقول أيضا: "الضغط على الطالب كتقييده بزمنٍ ما في الإجابة على سؤالٍ معينٍ يحفز نمو مناطق الاتصال العصبية في قرن آمون (Hippocampus) بالدماغ عند الذكور بعكس الإناث".ص١١٤

فقد يكون الأنفع للعملية التعليمية أن يفصل الأولاد عن البنات؛ لاختلاف عوامل التحفيز والإثارة لكل جنسٍ، وكيلا يستخدم المعلم أو المعلمة أسلوبًا يناسب جنسًا دون الآخر، فيكون في هذا إجحافًا في حق أحد الجنسين.

وهذا ما يؤكده السبت (١٤٣٢) حيث ينقل عن الدكتورة كارلس شوستر خبيرة التربية الألمانية أنّها ترى أن توحد نوع الجنس في المدرسة يؤدي لإشعال روح التنافس بين الطلاب، بينما الاختلاط بين

الجنسين يلغي هذا التنافس. ص١٩٨

النقولات السابقة ذكرها الباحث كفروقاتٍ بين الجنسين في جميع المراحل العمرية عمومًا، بينما إذا أردنا تخصيص الحديث في الفروق بين الجنسين بمرحلة الصفوف الأولية فيذكر لنا الأزرق (١٤٢٩) أنّ الأولاد أكثر مقدرةً على فصل العاطفة عن العقل من البنات، وأيضًا الأولاد أكثر التزامًا بالقوانين النفسية من البنات. ص١١٩

يرى الباحث أنّ ما نقله في النمو الانفعالي من فروقاتٍ بين الجنسين يجعل الأنسب الفصل التام بين الذكور والإناث.

والمقصود من المدرسة وإيجادها الخروج بأحسن النتائج في المخرجات، والاستفادة من كل ما يطرح من الساحة التربوية من أطروحاتٍ تسهم في الرقي بالتعليم المدرسي.

المبحث السادس: النمو الاجتماعي:

التنشئة الاجتماعية تبرز في هذه المرحلة إذ إنّ الطفل يبدأ يخرج من المجتمع الأسري المحدود، إلى مجتمعٍ مفتوحٍ ومتعدد المشارب، وهو المجتمع المدرسي، وله ضوابطه وقوانينه الاجتماعية التي لا بد للطفل أن يتفهمها وأن يسايرها.

يقول زهران (٢٠٠٥) "الطفل في هذه المرحلة مستمعٌ جيدٌ، ويذهب إلى المدرسة، ويتوقف سلوكه الاجتماعي في المدرسة مع جماعات أقرانه، وفي البيئة المحلية، ومع طبقته الاجتماعية على شخصيته التي نمت نتيجةً لتعلمه الماضي في المنزل، وفي البيئة المحلية، وفي دار الحضانة إذا كان قد مر بها". ص٢٦٥

فما دام أنّ سلوك الطفل يتوقف على أقرانه وأصدقائه؛ فعلى الوالدين حسن اختيار البيئة المدرسية، التي تواصل بناء القيم والأخلاق الإسلامية التي بدأها الوالدان، فإن كان الوالدان يريان أن المقصود من المدرسة فقط المعرفة والتعليم، فذاك قصورٌ في فهم رسالة المدرسة، والتي يراد منها التربية والبناء، وكذلك التعليم والوعي المعرفي، فكلاهما متلازمان، فالابن يتلقى التربية والتعليم كما هو مسمى الوزارة.

ويزعم عبد الرحيم (١٩٧٨) أنّ الأطفال يتعلمون في هذه المرحلة من خلال اللعب الجماعي، فيتعرف الكثير عن نفسه وعن رفاقه، وأيضًا تتاح لهم فرصة تحقيق المكانة الاجتماعية من خلال اللعب الجماعي، بل إنّ صداقاته تزداد عن ذي قبل لأنّ المدرسة تزيد من صلة الطفل بأقرانه. ص٢٠٨

فالأصل في الإنسان أنّه كائن اجتماعي، والطفل لما خرج من المجتمع الضيق في الأسرة وخالط جماعة الأصدقاء، اتضحت له صفة الاجتماعية وحب الخلطة أكثر من ذي قبلٍ، خصوصًا أنّهم يحققون رغبة اللعب الجماعي، فيشعر بانتمائه لجماعة الأصدقاء من خلال هذا اللعب المحبوب لنفسه.

وفي المقابل يبدأ تعامله مع الكبار في الأسرة حيث يذكر سالم (١٤٣٣) فالطفل يتتبع بشغفٍ ما

يجري في وسط الرجال، وتجد أن الولد يحتك بوسط الكبار، ويبدي استعدادًا كبيرًا لتقبل الآراء الاجتماعية لوالده ولإخوانه ولا يتعصب لآرائه، ومن المهم الاعتداد بفردية الطفل فهو يشعر بفرديته في هذه المرحلة. ص١٦٧

وهذا يقال كذلك للبنات في وسط النساء، والحديث من باب ذكر المثال، وقد نبه سالمٌ على أهمية الاعتداد بفردية الطفل، ولو تأملنا تعامل التربية الإسلامية تجاه الطفل حيال فرديته يوم أن يؤمر الطفل بالصلاة إذا بلغ سبع سنواتٍ، وطوال هذه المرحلة تبقى فقط أوامر وتوجيهاتٍ، وعدم قصره بالقوة، والأمر الآخر أنّ هذه المرحلة يتتبع الطفل آراء الكبار كما قرره سالم، وهذا يبين عظم التربية الإسلامية يوم أن جعلت الأمر بالصلاة توجيه وأوامر.

الفروق بين الجنسين:

من باب الأمانة العلمية وقف الباحث على عبد الرحيم تجاه النمو الاجتماعي وعلاقة اختلاف الجنسين به حيث قال عبد الرحيم (١٩٨٧) "ولا يفرق في هذه المرحلة في صداقته بين الجنسين كثيرا". ص٢٠٩

وقد رجع الباحث إلى بعض الدراسات ورأى أنّ الأقرب هو أنّ الطفل يميل إلى بني جنسه أكثر، بل ولا يرغب في اللعب مع البنات، وقد أورد الباحث خلال الحديث عند كل جانبٍ من جوانب علم نفس النمو الفروق بين الجنسي،ن وتضمنت جانبًا من جوانب النمو الاجتماعي، ومدى ميل كل جنسٍ إلى بني جنسه، ومما يؤكد ذلك ما يقرره دويدار (١٩٩٣) في دراسته أنّ الطفل لا يلعب مع الجنس الآخر ولا يميل إلى الاختلاط به، وأنّ المدرسة تعد معملًا للعلاقات الاجتماعية، فتساعد على تطبيع الطفل وأخلاقياته ضمن الإطار العام، والمتضمن للقواعد والأنظمة والتقاليد المجتمعية. ص٢٢٢

وتعد هذه الدراسة أحدث من دراسة عبد الرحيم.

بل إنّ نفس الباحث ذكر ما يؤكد التفريق بين الجنسين في النمو الاجتماعي فيرى عبد الرحيم (١٩٨٧) أنّ الفرق بين الجنسين يكون واضحًا وجليًا، حيث نجد الطفل يزداد تعلمه لدوره الجنسي، فالذكور يتجهون لأنّ يصبحوا أكثر استقلاليةً وخشونةً وحب التنافس، بينما الإناث يملن إلى أن يتحلين بالأدب والتعاون والرأفة أكثر من الذكور. ص٢٠٩

ومما يذكر هنا أنّ الألعاب –والتي تعتبر جزءًا مهمًا من النمو الاجتماعي عند الطفل في هذه المرحلة– نجد بينها تمايزًا واختلافًا، سواءٌ في الألعاب الحركية التي تحتاج إلى أدواتٍ، أو في الألعاب المتمثلة في أجهزةٍ، أو أدواتٍ، فلكل جنسٍ ميوله وفطرته التي فطره الله عليها، وقد يجتمعون في لعبةٍ واحدةٍ، لكن الطريقة ومدى التفاعل في اللعبة يختلف من جنسٍ لآخر، وهذا مشاهدٌ وملحوظٌ.

وإذا رأينا أنّ الولد يميل للعب مع البنات أو العكس، فقد يكون هذا خلافًا للأصل، بل يؤثر على شخصيته فيؤكد الحنبلي (١٣٥٩) أنّ الفتاة تتأثر تأثرًا كبيرًا عندما تختلط بالفتيان، فيرى الأثر واضحًا بأن تتبدل نفسيتها وتتغير عقليتها، ويصبح التقليد للفتيان سواءٌ في لباسهم أو خشونتهم، بل يصل ببعضهن التقليد للفتيان لأنّ تصبح مطابقةً لصفات الذكور، عندما توجد هذه السمات فسنجد عندها ردة فعلٍ من الفتيان إذا فكر في الزواج، فلا يرغب فيها كزوجةٍ، في حين أنه كان يقبل منها هذه التصرفات يوم أن كانوا زملاء في المقاعد الدراسية.

وهذا ينطبق أيضًا على الفتيان إذا اتجهوا لمخالطة الفتيات ومجالستهن، فقد يصطبغ بالصبغة الأنثوية في أخلاقه وتعامله، ويتسم بالميوعة والرقة والتي هي من سمات الفتيات. ص١٠١٦

وهذا أيضًا لا يرغب فيه الفتيات أن ترى التأنث في الرجل، فالله فطر الأنثى على حب الرجل المصطبغ بصفات الرجولة والفتوة، كما أنّ الرجل يفضل الأنثى اللينة الناعمة.

المبحث السابع: النمو الجنسي:

تعتبر مرحلة الطفولة مرحلة البراءة والعفوية كما يراها الأغلب، خصوصًا تجاه الجنس، فعقلياتهم لا تفكر في تلك الأمور فضلًا عن أن تفهمه، وهذه الرؤية في المجمل صحيحٌة وهي الأصل، ولكن هناك أمورًا رئيسيةً في النمو الجنسي ينبغي للوالدين والمربين التعرف عليها في هذه المرحلة.

يذكر زهران (٢٠٠٥) أنّ الطفل في هذه المرحلة قليل الاهتمام بشؤون الجنس، بل حتى في المرحلة التي تليها أيضًا؛ لأنّهم مشغولون بأمورٍ أخرى هي محل أولويةٍ لديهم، كالنشاطات الاجتماعية والتربوية.

وتنمو الأعضاء التناسلية بمعدلٍ أكثر بطئًا نسبيًا من بقية أعضاء الجسم، وإذا سار النمو الجسمي في المراحل السابقة سيرًا طبيعيًا وسارت عملية التربية الجنسية على ما يرام، مرت هذه المرحلة بهدوءٍ وكانت مرحلة كمونٍ جنسيٍ.

فإذا لم يهتم الوالدان والمربون بقضية التربية الجنسية، وبقيت مسائل الجنس أمورًا سريةً، فقد يؤدي ذلك إلى القلق لدى الطفل ويحتاج إلى من يشبع حاجته، وتزداد المناقشة بين الأطفال مع بعضهم البعض في هذه الأمور الجنسية. ص٢٧١

وهنا لفتةٌ جميلةٌ ذكرها زهران حول موضوع التربية الجنسية، وأهمية هذا الأمر ليجتاز الطفل مرحلة الطفولة بثقةٍ وطمأنينةٍ، فالأولى الإجابة على التساؤلات كلها، وتزويد الطفل بالمعلومات والحقائق الجنسية التي تناسب عمره، واستيعابه وعدم تبكيته .

لأنّ الكبت سيؤدي لانحرافٍ، إما بالتوجيه لمن يجيب على أسئلته من الأصدقاء وغيرهم، وقد تكون الإجابة خاطئةً فتؤدي للانحراف، مع أنّ الأصل ما قرره الأشول (١٩٨٢) أنّ مرحلة الطفولة الوسطى هي فترة الكمون الجنسي. ص٤٠٦

وقد نقل ذلك عن فرويد وسارنوف، فالطفولة إذا سارت دون مثيراتٍ جنسيةٍ فلن يجد الوالدان

ولا المعلم الاشكالات لدى الطفل، فمستوى تفكيره لا يصل للتفكير في الجنس، أما لو حصلت له مثيراتٌ من مشاهد أو حديثٍ جانبيٍ مع طفلٍ حول الجنس وغيرها، فهنا يبدأ الطفل في التساؤلات الناتجة عن هذه المثيرات، والواقع المعاصر يوجد به مثيراتٌ ومحفزاتٌ لأن يتطلع الطفل لهذه الأمور، فعندها لا بد من الإجابة على التساؤلات بكل هدوءٍ وحكمةٍ.

الفروق بين الجنسين:

يشير الأشول (١٩٨٢) إلى وجود خطأٍ سائدٍ حول المشاعر والميول الجنسية لطفل هذه المرحلة، وهو الظن بأنّ هذا الأمر غير موجودٍ بالكلية، فكثيرٌ من الناس عند سؤالهم عن بداية ميولهم الجنسية يرجعونك إلى المعلومات والخبرات التي تحصلوا عليها في مرحلة الطفولة الوسطى.

ونجد أيضًا خطأً متفشيًا لدى الوالدين حول التربية الجنسية، وهو التسويف في وضع خطةٍ للتربية الجنسية، أو الحديث حول التعامل الأمثل مع هذه الأمور، وحينها يتفاجؤون بأنّ طفلهم قد نمت لأذنيه الصغيرتين معلوماتٌ في ناحية الجنس، من خلال ملاحظاته وقراءته، ومن رفاقه وأصدقائه. ص٢٧

والعرب تقول: درهم وقايةٍ خيرٌ من قنطار علاجٍ، والتربية الاسلامية أولت التربية الجنسية عنايةً مميزةً تناسب رقي هذه التربية، وتناسب المرحلة العمرية، فالنبي ﷺ أمر الوالدين في هذه المرحلة أن يفرقوا بينهم في المضاجع، وفي سورة النور وضع الله في كتابه لنا آداب الاستئذان للطفل عند الدخول، والأوقات التي ينبغي له احترامها، وأوقات العورات وتربية الطفل على الاستئذان وأدبه.

يقول باحارث (١٤٢٣) بعد أن أورد آية الاستئذان ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ**

الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(النور: ٥٨): «ويمكن تحديد سن الاستئذان للولد بسبع سنين، حيث يدرك الطفل في هذا السن بعض القضايا المتعلقة بالجنس، فيبدأ معه في هذا السن بالتربية الجنسية».ص٤٧٤

ويشير الحنبلي (١٣٥٩) إلى كلام للعالم Hall في سياق حديثه عن التعليم المختلط، بأنّ البنت قد تخسر شيئًا من خصائصها وتفقد البعض من مزاياها، بل قد تتبدل كثيرًا من نفسياتها، وتحدث عن الواقع الأليم في أنّ الفتاة لا تستطيع الاحتفاظ بأنوثتها عند اختلافها إلى المعاهد المختلطة.

وإن الاختلاط يحوّر بعض المزايا الطبيعية للولد، ويحذف بعض خصائصه الجنسية. ص١٠١١

وهذا العالم ينقل من واقع تجربةٍ طويلةٍ مع التعليم المختلط وآثاره التي يتعرف عليها المختصون التربويون والأطباء النفسيون.

ويضيف الأشول (١٩٨٢) حول العادات التي تبدو لكل من يدقق في تصرف الأولاد والبنات، أنّ الأطفال عادةً يعتنون بأناقتهم، وعلى الرغم من أنّ الأولاد يسخرون من البنات، ومع ذلك تجدهم يستمتعون في عرض أنفسهم بتباهٍ أمام البنات، ويحسون بإشباعٍ كبيرٍ، ويُلاحظ أنّهم يسعون للفت أنظار البنات بأنماطهم السلوكية، وقد يصل الأمر لأن يضايقوهن لجذب انتباههن. ص٤٠٦

وهذا يخالف فطرة الأولاد، وأنّهم يفضلون الابتعاد عن جو البنات، إذ لكلٍ منهم سماته وخصائصه.

أما إذا كثر الاختلاط فهذا يجعل الولد يحب أن تنظر له الفتاة نظرة إعجابٍ، فيحرص أن يظهر بأجمل وأفضل مظهرٍ، وهذا يؤثر سلبًا على مستواه الدراسي.

والمربي الموفق هو من يحرص على تنمية مواهب الطفل، ورفع قدراته العلمية ليصبح من البناة في المجتمع، ويحاول قدر استطاعته أن يعبد الطريق له، ويبعد عنه كل صوارف مسيرته العلمية، فإن كان اختلاطه بالإناث يشغل ذهنه كما قرره الأشول؛ فمن النصيحة لهذا الطفل أن يبقى في جوٍ ذكوري من

جهة الطلاب والمعلمين، حتى يتسنى له أن يبدع ويتألق في جوه الطبيعي.

ومن سمات هذه المرحلة التي قررها علماء نفس النمو ما أشار إليه زهران (٢٠٠٥) أنّ مرحلة الطفولة الوسطى يحب الطفل فيها القيام ببعض التجارب الجنسية، بل حتى اللعب الجنسي يتم بين الأطفال بعضهم مع بعضٍ.

وترى الطفل لديه إصرارٌ على حب الاستطلاع الجنسي، ويستطلع على أعضاء جسمه، ووظائف كل عضوٍ، ويحاول معرفة الفروق بين الجنسين.

وقد يجد الطفل نفسه مضطرًا لأن يكبت رغبته هذه أمام ضغط الوالدين والمعلمين، وأمام رفاقه الذين جاوزوا المرحلة بسلام إلا أنّه بعد زمنٍ وعندما تظهر طاقاته الجنسية، قد يتحول هذا الكبت إلى انحرافٍ جنسيٍ سلبيٍ، وتنفجر طاقاته الجنسية على أساسٍ غير متينٍ. ص٢٧١

وهذا الاستطلاع قد تكون له عواقب غير جيدةٍ، والتجارب الجنسية قد تؤدي لأمورٍ لا تحمد عقباها، فقد ينحرف الطفل وتتكون لديه عقدٌ نفسيةٌ نتيجة هذا الانحراف السلبي.

ولو قلنا باختلاط الذكور بالإثاث وكان الاستطلاع للتعرف على الفروق بين الجنسين، فإنّ هذا أخطر وعواقبه وخيمةٌ، فمن الحكمة أن يعتني بهذه الجوانب ولا تهمل، وألا يقال أنّ هؤلاء أطفالٌ، فالمنقولات السابقة كلها علميةٌ، وليست من مثيل الحديث العابر، فمن العقل العناية بما ينقل وما يدونه أهل الاختصاص.

خاتمة:

يتضح مما سبق في المباحث السبعة، وما طرح فيها من فروقاتٍ بين الجنسين، أنّ هناك تمايزًا واضحًا بين الذكور والإناث في مرحلة الصفوف الأولية، أو كما يسميها علماء نفس النمو بمرحلة الطفولة الوسطى.

وقد شمل الفرق جميع جوانب النمو التي وقف عليها الباحث، فهناك اختلافٌ في مستوى الرؤية من حيث السطوع والخفوت، ومن حيث التحدي والتنافس يناسب الذكور، وعكسيًا على الإناث.

وذكاء الإناث أكثر من الذكور، ولو اختلطوا فيؤثر فيهن أخلاق الفتيان، وسمع الأنثى أكثر حساسيةً من الذكر.

وفي الجانب اللغوي فالبنات يتفوقن على الأولاد، بل حتى في الكتابة فإنّ الإناث لهن التميز على الذكور، وإذا جئنا لبيئة الفصل فعند التعلم يحب الذكور الصمت،بينما الإناث يفضلن الحديث أثناء التعلم.

والطفل في هذه المرحلة لا يلعب مع الجنس الآخر ولا يميل للاختلاط به، وتطرق الباحث لفقدان البنت لبعض مزاياها، وتتأثر نفسيتها عند اختلاطها للمدارس المختلطة، وكذلك الأولاد.

والطفل في هذه المرحلة يحب معرفة الفروق بين الجنسين، ولديه حب استطلاع لمعرفة أعضاءه ووظيفة كل عضوٍ.

وغير ذلك من الفروقات التي لها الأثر المباشر على العملية التعليمية، فإما يكون أثرًا سلبيًا على التحصيل الدراسي والمعرفي، أو يكون أثرًا تربويًا وأخلاقيًا سلبيًا، وكلا الأمرين من الأهمية بمكانٍ، فالوزارة التي تعني بتعليم الجيل هي وزارة التربية والتعليم فقدمت التربية على التعليم لأهميتها.

الفصل الثالث

الانعكاسات الأخلاقية والعلمية لاختلاط الجنسين في التعليم بالصفوف الأولية من وجهة نظر مفكري التربية الإسلامية.

المبحث الأول: آراء المتقدمين.

المبحث الثاني: آراء المعاصرين.

تمهيد:

إن لكل أمةٍ تاريخها وحضارتها وتراثها الذي تنتمي إليه وبه تفخر، ومن مفاخرها أن تخرج رجالًا يحملون أفكارها ويصيغون قيمها في كتبٍ ومقالاتٍ؛ ليرجع إليها الأجيال ليتعرفوا على قيمهم ومبادئهم من خلال تلك الكتب والمقالات، لتكون بعد ذلك هي الحكم في التعرف على الصواب والخطأ من السلوكيات والتصرفات التي تصدر من الأجيال، ويتميز تراثنا بأنّ مفكريه ينطلقون من كتاب الله وسنة النبي ﷺ، فمنها ينهل مفكرونا وعلماؤنا آرائهم وأطروحاتهم.

ومن باب التحدث بنعمة الله علينا معاشر المسلمين أنّ الله أنزل هذا الكتاب العظيم وحفظه من التبديل والتحريف ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ (الحجر: ٩).

وجعل القرآن كتاب هدايةٍ للمسلمين؛ يدلهم على الصواب في سيرهم في دينهم ودنياهم فقال الله: ﴿ **هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ** ﴾ (لقمان: ٣) وقال الله: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** ﴾ (الإسراء: ٩) يقول السعدي (١٤٢٠) "يخبر تعالى من شرف القرآن وجلالته وأنّه يهدي للتي هي أقوم: أي أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق". ص ٤٥٤

فهنا العالم الجليل السعدي يوضح لنا أنّ القرآن مصدر الأحكام كما هو مصدر العقائد والأعمال.

وهذا شرفٌ لنا كمسلمين أن يكون مصدر أخلاقنا هو كلام الله، فالله أعلم بما هو الأصلح لخلقه وما ينفعهم وما يضرهم، فالخالق للكون والبشرية أعلم بما يصلح لها وما يجعلها تسير على أحسن حالٍ.

وكذلك لنا معاشر أهل الإسلام مفخرةٌ أخرى بأنّا نقتدي بأعظم رجلٍ وطئ الثرى محمد ﷺ، وقد

زكاه الله سبحانه بأنّه على خلق عظيم فقال الله: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم: ٤).

وقد أمرنا الله سبحانه بأنّه نتأسى بنبينا ﷺ فقال الله: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ (الأحزاب: ٢١).

يقول ابن كثير (١٤٢٠): «هذه الآية الكريمة أصلٌ كبيرٌ في التأسي برسول الله ﷺ، في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ». ص ٦/٣٩١

فالله حث عباده أن يكون القدوة العليا لهم هو النبي العظيم ﷺ، وذكر أنّ الاقتداء به عليه الصلاة والسلام علامةٌ على الإيمان بالله واليوم الأخر.

فلو أرادت البشرية أن تبحث عن شخصيةٍ ملهمةٍ، فيها صفات الكمال البشري، فلن تجد أحدًا مثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وخير الأنبياء هو نبينا محمد ﷺ، فحري بكل مسلمٍ أن يتخذه القدوة والأسوة.

وخير من نقل لنا هذا الميراث العظيم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ هم العلماء والمفكرون المسلمون؛ الذين فهموا هذين المصدرين، وعرفوا مراد الله، ثم أخرجوا للأمة تراثًا ضخمًا يستند إلى الكتاب والسنة.

فعلى من يريد أن يربي نفسه أو من حوله أو من أراد تطوير مجتمعه؛ أن ينهل من المعين الصافي من كتب المربين والعلماء المسلمين، الذي جعلوا مراجعهم الوحيين.

وفي هذا الفصل سيقف الباحث مع آراء مفكري التربية الإسلامية، من خلال كتبهم ومدوناتهم وفتاويهم، في عصر السلف الصالح وفي العصر الحاضر، ولقد وقف الباحث على الكثير من الآثار التي تتحدث عن الاختلاط بين الجنسين، وكتبٍ ورسائل كاملةٍ مليئةٍ بالنقولات عن الاختلاط بين الجنسين، ومن أميزها في هذا المجال كتابين:

١/ كتاب (الاختلاط بين الرجال والنساء مفهومه وأنواعه وأقسامه وأحكامه وأضراره في صور الكتاب والسنة وآثار الصحابة رضي الله عنهم) ومؤلفه د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

٢/ كتاب (الاختلاط بين الجنسين في الميزان) ومؤلفه د. خالد بن عثمان السبت.

وكلا الكتابين مليٌ بالنقولات المهمة عن مفكرين من السلف الصالح ، ومن مفكرين معاصرين.

لكن دراستي خاصةٌ بالاختلاط بين الجنسين في تعليم مرحلة الصفوف الأولية؛ لذا وجد الباحث نقولاتٍ محدودةٍ تناسب دراسته، ووقف الباحث على مراجع أخرى.

وقبل البدء في طرح آراء المفكرين المسلمين من المتقدمين والمتأخرين يود الباحث أن يوضح أمرًا من الأهمية بمكانٍ، وهو نشأة وبداية الاختلاط في التعليم عند المسلمين.

نشأة الاختلاط في التعليم في بلاد المسلمين:

بدأ التعليم في حضارة الإسلام منذ بزوغ فجره، فكانت أول آيةٍ: (اقرأ)، وبدأ النبي ﷺ يعلم الناس كتاب الله، ويعلمهم الأخلاق الفاضلة، وكان ﷺ يخص النساء بمجلسٍ يعلمهن فيه أمر دينهن، ففي البخاري (١٤١٩-٩٧٧) أنّ ابن عباس قيل له: أشهدت العيد مع النبي ﷺ؟ قال: نعم، ولولا مكاني من الصغر ما شهدته، حتى أتى العلم الذي عند دار كثير بن الصَّلت فصلى، ثم خطب، ثم أتى للنساء ومعه بلال، ثم انطلق هو وبلال إلى بيته. ص٩٨٧.

والنبي ﷺ أخذ بلالاً لمجلس النساء لحاجته عليه الصلاة والسلام له، فقد كان الخادم للنبي ﷺ ومسؤولًا عن جمع الصدقة.

وابن عباس كما ذكر في الأثر أنّه لولا صغره رضي الله عنه لما حضر لمجلس النساء، يقول ابن حجر (١٤٢١) معلقًا على الأثر: "فيه أنّ الأدب في مخاطبة النساء في الموعظة أو الحكم أن لا يحضر من الرجال، إلا من تدعوا الحاجة إليه من شاهدٍ أو نحوه؛ لأن بلالًا كان خادم النبي ﷺ، وأما ابن

عباس فقد تقدم أن ذلك اغتفر له بسبب صغره". ص ٢/٤٦٦.

فإذا تقرر ذلك وعلمنا أنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا هم خير من تأسى بالنبي ﷺ، ومن بعدهم التابعين، وتتابعت الأمة على هذا النهج المبارك، فنساء السلف الصالح طلبن العلم وتعلمن علوم الشريعة والعلوم الدنيوية وهن في المنازل، ولقد أشار باحارث (١٤٣٣،ب) إلى طبيعة تعليم الفتاة المسلمة في ضوء التراث التربوي الإسلامي، وأنّه نظامٌ يمنع الاختلاط بين الجنسين من عهد النبوة إلى زمنٍ قريبٍ، في أسلوب تلقي العلم عن المشايخ وأسلوب أدائه للطلاب.

فكانت توجد المدارس والكتاتيب الخاصة بالفتيات، وكان تعليم الفتاة جله ينطلق من المنزل، ولا علاقة لها بالمدارس العامة، والتي غلب عليها الذكور إذ إنك تجد الطلاب في أغلب أحوالهم كانوا يرابطون مع المشايخ في اسكانات خاصة داخل المدرسة، فكانوا يعايشون أشياخهم لينهلوا العلم والتربية والتزكية ويتفرغوا لطلب العلم، وهذا لا يناسب وضع النساء وخاصة الشابات، ومع هذا فقد برز في سماء العلم عالماتٌ جليلاتٌ، مع أسلوب سلفنا الصالح في تعليم الفتاة المسلمة، وكان أغلب تعليمها في المنزل وله صورٌ عديدةٌ:

١. أن تعرف الأسرة بالعلم، ويكون الجو السائد في هذه الأسرة المباركة العلم والمعرفة، سواءٌ علمًا شرعيًا أو دنيويًا كالطب ونحوه.

ويصبح العلم مشاعًا في أفراد الأسرة ذكورًا وإناثًا، وهذه الصور لم تكن شاذةً بل كانت الكثير من الأسر على هذا النهج الرائد.

٢. أن تزكي المرأة علمها بتعليم محارمها من الرجال، ويكونوا هم الواسطة بين هذه المعلمة العالمة وبين الرجال الأجانب.

٣. أن تتفرع المرأة المتعلمة الفاضلة لتعليم بنات جنسها من النساء ومن قريباتها، فتعلمهن الخير

والفقه في الدين، سواءٌ في بيتها أو في دورٍ خاصةٍ بتعليم النساء.

٤ .أن يحضر الرجل بناته وأزواجه ومحارمه إلى مجالس العلم، ليسمعن العلم ويتشاركن في الخير.

٥. جلب المربين والمؤدبين والمعلمين إلى المنازل لتعليم الفتيات ، ويكون تحت إشراف الأسرة، وكل ذلك حرصًا على ألا يختلط الفتيات مع الأولاد.

٦. وقد ورد أن بعض النساء كن يجتمعن في المساجد مع شيخاتهن في حلقاتٍ منفصلةٍ عن الرجال، مقتدين بالنسوة في عهد النبي ﷺ لما كن يجتمعن في صفَّة النساء.

هذه أبرز طرائق تعليم وتعلم الفتاة المسلمة عبر تاريخنا الإسلامي الزاهر.

ولقد كان القرار في البيت سمةً بارزةً في نساء السلف، فإحداهن يروى عنها أنّها بعد زواجها خمس سنين لم تخرج منه، ومع ذلك فكانت تتعلم حتى أنّها سمعت من أكثر من مائةٍ وخمسين عالمًا.

ومن روائع نساءنا الفاضلات أنّ الواحدة منهن كانت تعلم الناس وهي في منزلها، فتجدها تفتي للناس، فكانت تأتيها أسئلةٌ مكتوبةٌ فتجيب عليها كتابةً، بل وربما تلقي الدرس من وراء حجابٍ، وهذا كله للحفاظ على قيمة الستر والأدب، والبعد كل البعد عن الاختلاط والبروز للرجال.

وكانت بعض النساء العالمات إذا كبرن وأصبحن من القواعد من النساء أصبحت الواحدة منهن تحدث الرجال من وراء حجابٍ، وإن كان الأغلب أنّهن يحتجبن دون الرجال، وكن أيضًا يجزن الرجال بالإلقاء، وكان هذا النهج معتبرًا عند السلف رحمهم الله.

وعلى ما ذكر يتضح لنا كيف هو تعليم النساء ونبوغهن مع عدم الحاجة للخلطة بالرجال.

وكان التربويون من السلف الصالح يرون الحرص على مسألة الفصل بين الجنسين.ص ١٢٩-١٤٢.

والمتأمل لحال أمة الإسلام وعنايتها بالتعليم وكيف بلغت حضارتها مشارق الأرض ومغاربها، وهي محافظةٌ على قيمها ومبادئها التي تنبع من الدين الإسلامي القويم ومن التربية الإسلامية، وكان مفكرو

التربية الإسلامية مضرب المثل في الجمع بين الحضارة والتقدم والعلم، والجمع بينها وبين قيمهم الإسلامية، والتي لا تتبدل مع المصالح أو تتغير مع الزمن، فمن سمات القيم الإسلامية الثبات وعدم التغير.

فمن القيم التي عني بالحفاظ عليها مفكرو التربية الإسلامية الفصل بين الجنسين في التعليم، وجل ميادين الحياة.

ويؤكد البداح (١٤٣١) على مبدأ حضارة الإسلام وازدهاره مع حفاظه على الفصل بين الجنسين، حين نقل لنا مقولة السباعي في تشدد الإسلام في الفصل بين النساء والرجال، وقد أقامت حضارةً زاهرةً فاقت كل حضارات العالم في رقيها وإنسانيتها وسمو أخلاقها، وهي محافظةٌ على منع الاختلاط بين الجنسين، ولم يؤثر الفصل على ريادتها الحضارية وقيامها بدورها الحضاري الذي خلده التاريخ. ص ٤٢-٤٣.

وسنة الله في الكون التغيير والتبديل ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ (محمد:٣٨) فلما ضعف المسلمون في تمسكهم بدينهم وانتمائهم لعقيدتهم وعلمهم، بدأ أعدائهم يطمعون في إسقاطهم وتبديل قيمهم التي عاشوا عليها.

ومن القيم التي حرص أعداء الأمة على إفسادها قيمة الفصل بين الجنسين في التعليم، حيث يذكر القحطاني (١٤٣٢) أنّ المدارس الأجنبية والتي أنشئت في بلاد المسلمين هي كانت البداية لدخول الاختلاط في أماكن التعليم في البلاد الإسلامية، والذي أنشأها هو المحتل الأجنبي.

وقد كان إنشاء أول مدرسة عام ١٨٣٠م في بيروت، فتحها المنصرون كمدرسة للبنات، وذلك في عهد الدولة العثمانية.

وتتابع افتتاح مدارس كثيرةٍ للبنات في العراق وسوريا ومصر والسودان وفلسطين والهند وأفغانستان،

ثم تحولت بعد ذلك مختلطةً بين الجنسين. ص ١٣

وهذا المسار في تغيير القيم الذي سار عليه المحتل الأجنبي معروفٌ بقوة تأثيره مع بطءٍ في السير.

فهم يعرفون أنّ فرض التغيير تأباه النفوس الأبية المسلمة؛ لذلك يسيرون في المسار الهادئ والتغيير المتدرج البطيء في نموه، وهو أيضًا القوي في فعاليته وتأثيره.

فأول ما دخل المحتل الأجنبي بدأ بطرح مدارس تعليم البنات، وإن كانت البنات يتلقين التعليم بصورٍ شتى، ومن ضمنها الكتاتيب الخاصة بهم، لكنه أراد أن يشعر المجتمع بحرصه على تعليم الفتاة المسلمة في جوٍ يناسبها ويناسب قيمها وأخلاقها الإسلامية، ثم يبدأ يطرح فكرة الاختلاط بصورةٍ تدريجيةٍ هادئةٍ، بدعاوى الحرص على المنفعة التعليمية والأثر التربوي.

فيكون أول ما يطرحه الاختلاط في رياض الأطفال والصفوف الأولية، ولابد لكل العقلاء قراءة التاريخ، وأخذ العظة والعبرة، والاستفادة من التجارب السابقة، ومحاولة تلافي مساوئ كل تجربةٍ.

وقد كان الاختلاط مستنكرًا من المجتمع الإسلامي، وقوبل بالرفض والاستنكار وعدم الترحيب به، فمما قرره القحطاني (١٤٣٢) أنّ المجتمعات الإسلامية لم تكن تعرف الاختلاط بين الجنسين في أماكن العمل ولا في التعليم، قبل أن يتمكن الاحتلال الفرنسي والإنجليزي في أرض المسلمين.

وينقل عن مؤلف كتاب تاريخ التعليم في العراق ١٩٢١-١٩٣٢م أنّ أعيان ووجهاء البصرة لما قام مدير المعارف في ذلك الوقت بزيارة مدرسة للبنات، كتبوا كتابًا لرئيس مجلس الوزراء في العراق، يحوي استنكارًا ورفضًا لما فعله المدير، واعتبروه تغريبًا للمجتمع، وهو طريقٌ لسفور المرأة. ص ١٣

فمخاطبة الوجهاء لرئيس مجلس الوزراء يدل على أنّ القضية كانت تشكل التعدي على ثابتٍ من ثوابت المجتمع العراقي المسلم، والدخول إلى قضيةٍ حساسةٍ جدًا بالنسبة لهم.

ومجرد زيارة مدير المعارف لم يصاحبها أي قرارٍ ذكره المؤلف يوصي بقضية الاختلاط بين الجنسين، بل مجرد الزيارة اعتبروها تجاوزًا خطيرًا في سبيل إخراج تعليم الفتاة المسلمة من خصوصيته التي سار عليها

المسلمون من بداية تاريخهم، وتوالى على إقراره مفكروا التربية الإسلامية.

ومن أبرز الأساليب والمظلات التي استخدمت في إدخال الاختلاط بين الجنسين في التعليم كخطوات مبدئية لإدخال الاختلاط لمجتمعات المسلمين، هي المدارس الأجنبية أو ما يسمى بالمدارس العالمية.

ومما يدل على تعظيم أثر هذه المدارس العالمية أنه ألف بعض المفكرين المعاصرين كتبًا خاصةً حول المدارس العالمية الأجنبية وآثارها على المجتمعات الإسلامية، وكتب حولها دراسة ماجستير بعنوان: المدارس الأجنبية في الخليج.

ويؤكد أبو زيد (١٤٢٧) في كتابه المدارس العالمية أنّ أول من أدخل فتنة الاختلاط بين الجنسين هي المدارس الاستعمارية، لما في الاختلاط من إشاعةٍ للفساد والمنكرات وهدم العفة.

وما جاء الاستعمار إلى بلاد المسلمين إلا لينهب خيراته، ويفسد ديار المسلمين، ولما اضطر للخروج أراد أن يبقي له من يفسد ما يستطيعه من قيم المجتمع الإسلامي، ومنها هذه المدارس العالمية.

ولعل من أوائل المدارس العالمية التي أنشئت في بلاد المسلمين هي مدرسة بيان بالبحرين، فما ذكره البداح (١٤٢٩) أنّ مدرسة بيان البحرينية النموذجية يختلط فيها الطلاب والطالبات في كافة المراحل وسائر الأنشطة، عدا حصة الرياضة، فقد كانوا يفصلون فيها بين الجنسين، وتاريخ إنشائها كان في عام ١٩٨٢م . ص ١٧٩

وذكر البداح في دراسته حول المدارس الأجنبية في الخليج جوانب مهمةٍ حول الأثر التربوي السلبي لها، والغزو الثقافي المقصود في هذه المدارس.

ولو أردنا أن نستعرض تاريخ إحدى الدول الإسلامية، ونشأة الاختلاط فيها، والمسار الذي اتبع في إدخال الاختلاط بين الجنسين في تلك الدول المسلمة، فلنأخذ مثلًا دولة مصر حيث بين لنا البداح

(١٤٣١) كيف سار التيار التغريبي في مصر، وطريقته في إدخال الاختلاط في أماكن العمل والتعليم على ثلاثة مسارات:

الأول: إدخال الفتيات المسلمات المصريات إلى الجامعات المصرية سافرات الوجوه، ومختلطاتٍ بالطلاب لأول مرةٍ في تاريخ مصر ، وكان من أبرز من دعا لذلك أحمد لطفي السيد و يناصره طه حسين.

الثاني: تسخير أقلام من ينتسب للعلم للترويج للاختلاط بين الرجال والنساء، كرفاعة الطهطاوي في كتابه «تلخيص الإبريز في تاريخ باريز»، وعبد العزيز جاويش الذي أنشأ مجلة «الهداية»، وكان الهدف الواضح لهذه المجلة تقريب الدين من الثقافة الغربية.

الثالث: تسليط الضوء من قبل الصحافة على أفكارٍ سيئةٍ تتعلق بتعليم المرأة وعملها واختلاطها بالرجال. ص ٥٣-٥٤

من خلال ما ذكر من تاريخ بداية ونشأة الاختلاط اتضح للباحث أنّ قضية الاختلاط بين الجنسين في التعليم عمومًا وفي الصفوف الأولية خصوصًا، لم تكن موجودةً أصلًا، لذلك فالحديث عنها من قبل المفكرين المسلمين الأوائل قليلٌ، بل قد يكون شحيحًا كما يرى الباحث، فعمد الباحث إلى أن يقسم آراء مفكري التربية الإسلامية إلى قسمين:

١. آراء المتقدمين.

٢. أراء المتأخرين.

وبهذا التقسيم وجد الباحث أنّه يستطيع أن يقسم الحديث حول الاختلاط بين الجنسين في الصفوف الأولية إلى ما قبل الشروع في الاختلاط والتعليم، فتجد أنّ النقل في هذا المجال قليلٌ.

والقسم الآخر بعد الشروع في الاختلاط في الصفوف الأولية، وحاول الباحث أن يميز الأهم من تلك النقولات.

المبحث الأول: **آراء المتقدمين**:

ضابط المتقدمين عند الباحث من توفى قبل عام ١٣٠٠هـ.

فقبل عام ١٣٠٠هـ لم يكن هذا الاختلاط في التعليم يعرف في تاريخ التربية الإسلامية، ومع ذلك فلقد حذر أحد كبار مفكري التربية الإسلامية من القرن الثالث الهجري من أن يختلط الأولاد بالبنات في صغرهم في التعليم.

حيث قال ابن سحنون (١٩٧٢): «قال سحنون: وأكره للمعلم أن يعلم الجواري، ولا يخلطهن مع الغلمان؛ لأنّ ذلك فساد لهم» ص ١٧٧.

ولقد توفي سحنون عام ٢٤٥ هـ رحمه الله فمع أنّه في القرون الأولى من أمة الإسلام، إلا أنّه بعث برسائل تنم عن وعيٍ تربويٍ، ففي هذا النص يشير سحنون إلى أمرين يحذر منها:

١. التحذير من أن يتولى تدريس البنات المعلمين، ولعل الفوارق التي أشار إليها الباحث في الفصل الأول تدعم رأي سحنون في عدم تفضيل أن يعلم الفتيات المعلمين الذكور، وعدم تولي المعلمات تعليم الذكور؛ لكثرة الاختلافات في نمو كل جنسٍ، والأثر التعليمي السلبي من اختلاف الجنس في العملية التعليمية بين المعلم والطالب.

٢. التحذير من اختلاط الجواري -وهن الفتيات الصغيرات- مع الغلمان -وهم الأولاد الصغار- في العملية التعليمية.

بل ذكر سحنون أنّ هذا الاختلاط يفسد البنات الصغيرات، وهذا يدل على ضلاعة علم ذلك المفكر في التعرف على الأثر التربوي السلبي على البنت الصغيرة خصوصًا.

فالفتاة تتأثر بالذكور في اختلاطها معهم أكثر من تأثر الذكر، كما ذكر ذلك الباحث في الفصل الثاني من الدراسة.

وننتقل إلى القرق الخامس الهجري ونجد أنّ القضية مقررةٌ بالنفي عندهم يقول القحطاني (١٤٣٢) «قال علي بن محمد القيرواني المالكي (ت ٤٠٣هـ) بكراهية تعليم المعلم للجواري واختلاطهم بالغلمان» ص ٧٧.

فلو تأملنا نجد أّن النص الثاني نفس ما دعا إليه المفكر سحنون في النص السابق، وهذا يدل على أنّ القضية عندهم مكروهةٌ، والكراهة عند المتقدمين يراد بها التحريم.

فمفكرو التربية الإسلامية يرون أنّ القيم الإسلامية والمبادئ والأخلاق لا تتغير، بل هي ثابتةٌ، ولو حصل تقدمٌ حضاريٌ ونهضةٌ علميةٌ فإنّ التربية الإسلامية تستوعب هذا التقدم، بل وتدعوا له وترحب به، لكنها تُسيّر هذه الحضارة وفق قيمها ومبادئها التي لا يطرأ عليها التغيير، لأنّها مستمدة من القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن السنة النبوية.

وتمر القرون وتنقضي السنون إلا أن المبدأ ثابتٌ لا يتغير، فهذا مفكر من القرن التاسع الهجري يقرر نفس المبدأ، وبنفس العبارات والأسلوب.

قال القحطاني (١٤٣٢): «قال أحمد المغراوي المالكي (ت ٨٩٨ هـ) بكراهية تعليم الجواري واختلاطهم بالغلمان» ص ٩٢.

ومع أن بين النصين قرابة خمسة قرون، إلا أن القضية ثابتة لم يغيرها تقضي الأيام والسنوات، والثبات من سمات التربية الإسلامية التي قررها مفكرو التربية الإسلامية، وأصبح هذا الثبات من أبرز الفروقات بين التربية الإسلامية وبين الأمم الأخرى.

ولعنا نعود إلى أبرز الآثار التي تدل على التحذير من الاختلاط في مرحلة الصفوف الأولية لما بلغه الأطفال من سمات في نموهم.

في الترمذي (١٤٠٦/ ٩٠٣) «قالت عائشة: إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأةٌ» ص ٢٦٣.

ولقد علق شارح الترمذي المباركفوري (١٣٥٣) على هذا الأثر بأنّ مراد أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها في كون الجارية إذا بلغ عمرها تسع سنواتٍ فهي امرأةٌ، تقصد أنّها في حكم المرأة البالغة، فلقد حصل لها ما تعرف به نفعها من ضررها، وذلك من خلال الشعور والتمييز الذي تكون عندها. ص ٤/٢٠٨

فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقرر مبدأً لكل مسلمةٍ، أنّ عمر تسع سنواتٍ يعتبر عمر تحولٍ من الطفولة إلى أن تكون الفتاة امرأةً.

وزوجات النبي ﷺ محل قدوةٍ لكل مسلمةٍ، حيث إنهن أمهات لهم قال الله تعالى: ﴿ **وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾ (الأحزاب: ٦).

ولقد رأى العلماء جواز زواج الفتاة عند بلوغها تسع سنين؛ لأنّها امرأةٌ بالغةٌ مميزةٌ، واستدلوا بالأثر الوارد عن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها.

فنقل العظيم آبادي (١٩٨٨) رأي الإمامين الجليلين أحمد بن حنبل وإسحاق أنّها يفتيان بجواز إمضاء زواج اليتيمة إذا بلغت تسع سنين ورضيت، ولا يصح لها الخيار إذا أدركت.

واستدلا رحمهما الله بحديث عائشة رضي الله عنها وأنّ النبي ﷺ بنى بها وهي بنت تسع سنين.

وفعل النبي ﷺ حجةٌ كما هو مقررٌ عند علماء الفقه والأصول، وما أوردها في الاحتجاج قول عائشة رضي الله عنها إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأةٌ. ص ٦/١١٨

ولنا في نبينا عليه الصلاة والسلام خير قدوةٍ في ديننا ودنيانا، فلما بنى النبي ﷺ بعائشة وعمرها تسع سنوات، فهو ﷺ يشرع لأمته أنّ هذا العمر لا تعتبر الفتاة صغيرةً، أو أنّها لا زالت طفلةً لا يصح أن تتزوج، والقول بأن تزويج القاصر يعتبر تجاوزًا في حق طفولتها وبراءتها كما يقول بعض المعاصرين، فهذا يعتبر قصورًا في فهم الدين، بل فيه اعتداءٌ على القيم الإسلامية والتي تستمد من كتاب الله وسنة

النبي ﷺ، وليس من أقوال مفكرين من الغرب أو الشرق، بل حتى لو كان القائل للرأي مفكرًا من كبار مفكري التربية الإسلامية وكان مخالفًا لفعل النبي ﷺ فيرد كلامه ولا يلتفت له.

ولو أردنا أن ننزل أثر عائشة رضي الله عنها على بنات الصفوف الأولية، لوجدنا أنّ البنت في الصف الثالث تبلغ تسع سنين، وعلى هذا تعد الطالبة في الصف الثالث امرأةً، والمقصود أنّها تحيض ولقد ثبت هذا في عصر السلف والطب الحديث.

يقول السبت(١٤٣٣): «قال الإمام الشافعي رحمه الله: رأيت باليمن بنات تسعٍ يحضن كثيرًا»ص١٨

وسيورد الباحث إثبات الطب الحديث في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: آراء المعاصرين:

وضابط المعاصرين عند الباحث: من توفى بعد عام ١٣٠٠هـ أو ما زال حيًا.

وهم في الغالب من عاصر نشأة الاختلاط في العالم الإسلامي كما أسلف الباحث في بداية الفصل، لذلك لم تكثر النقولات عن المتقدمين، إذ إن تعليم الصبيان والجواري كان مفصولًا، ولم يتطرق إلى اختلاطهم إلا في العصور المتأخرة بعد دخول المستعمر الأجنبي.

فالاختلاط في أماكن التعليم كان ثقافةً لدى الغرب وجاؤوا لبلاد الإسلام وهم يحملون معهم أفكارهم وثقافاتهم؛ لينقلوها للمجتمع المسلم، فانبرى لهم كوكبةٌ من مفكري المسلمين، ردًا على أفكارهم الدخيلة على محاضن التربية والتعليم لدى أمة الإسلام.

فلما طرح الاختلاط في التعليم بدأ المفتونون بالغرب يرددون ما يقوله المفكرون المعاصرون الغربيون من فوائد الاختلاط في التعليم، والعائد الإيجابي على العملية التعليمية، فكان ممن دون في الرد عليهم الشيخ محمد رشيد رضا، فكتب في مجلته مقالًا مطولًا حيث أكد رضا (١٣٠٨) أنّ أبرز سببٍ للاختلاط في التعليم هو الانبهار بالغالب والتقليد للإفرنج، وليس عن فكرٍ تربويٍ مستقلٍ، أو عن خبرةٍ في هذا المجال.

وذكر أنّه لا يمكن المقارنة بين المصلحة المذكورة من الجمع بين الذكران والإناث، وبين الأضرار الناجمة عن هذا القرار وهذه الفكرة.

وقرر بأنّ هذا الرأي لا يراعي الفروق والتمايز بيننا كمجتمعٍ مسلمٍ، وبين أولئك القوم وثقافتهم الغربية، والداعي لهذا الأمر لا يحمل نظرًا دقيقًا في التمييز بين الثقافات.

وقبل ذلك ذكر أنّ جميع ما يقال في الفوائد من اختلاط الذكور والإناث في المقاعد الدراسية في جميع المراحل الدراسية، هو في الحقيقة خيالاتٌ متوقعةٌ، والأقرب أنّها بعيدة عن أرض الواقع ص ١١٩.

فهذا محمد رشيد رضا من كبار مفكري القرن الثالث عشر وقف أمام دعاة الاختلاط بين الجنسين في التعليم، وبدأ بنقد الفكرة والداعي من ورائها، ويحاول أن يلفت الانتباه إلى وجود الفروقات بين المجتمعات.

فالمجتمع المسلم المحافظ على قيمه الإسلامية المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والذي جعل للمرأة مكانتها اللائقة بها وحفظها من الخروج للرجال، وحث مفكرو التربية الإسلامية الأوائل على حفظ الفتاة من أن تختلط بالصبيان، بخلاف ذلك المجتمع الغربي الذي لا يرى أي غضاضةٍ في مخالطة الأنثى للذكر، وأن تختلط بالأجانب وهي كبيرةٌ، ومن باب أولى الفتيات الصغيرات مع الأولاد.

وقرر رحمه الله أنّ جميع المنافع التي تذكر للاختلاط في التعليم إنّما هي أموٌر متوقعةٌ، ويغلب بأنّها لن تكون كما طرحها دعاة الاختلاط.

ولعلنا ننتقل من محمد رشيد رضا أحد مفكري مصر إلى بلاد المغرب الإسلامي حيث يقول البداح (١٤٣١): «قال محمد بن الحسن الحجوي من علماء المغرب (ت: ١٣٧٩) ويكون تعليم البنات على يد نسوةٍ معلماتٍ فاضلاتٍ ماهراتٍ، مخصوصةٍ بالبنات لا مختلطاتٍ بالأولاد» ص ٤٢.

ولما يشير الحجوي رحمه الله إلى المعلمات الماهرات دليلٌ على وفرة التعليم بين الفتيات، وكذا توفر المعلمات في المجتمع المغربي المسلم، فالمجتمع المغربي المسلم أخذ قيمه من المفكرين المسلمين عبر العصور وتناقلوها جيلًا عن جيلٍ، منتمين لفكرهم الإسلامي الأصيل.

ومن رواد الفكر الإسلامي في القرن الثالث عشر في بلاد المغرب الإسلامي المفكر تقي الدين الهلالي، والذي حذر من اختلاط الفتيات بالأولاد في مرحلة الطفولة، يذكر القحطاني (١٤٣٣): أنّ المفكر تقي الدين الهلالي قرر رحمه الله بوجوب فصل الذكور عن الإناث في مدارس التعليم، من مرحلة روضة الأطفال إلى أن يصل الذكر والأنثى إلى مرحلة الدكتوراه. ص ١٠٦

وهذا الطرح المانع لأي صورةٍ من صور الاختلاط في التعليم –حتى في مرحلة روضة الأطفال– تدل على أنّ تقي الدين رحمه الله يرى أنّ هذا الأمر له تبعاته التربوية الغير جيدة، فلقد عرف تقي الدين بقلمه التربوي المتميز، وفكره الإسلامي البارع.

وممن عارض اختلاط الذكور بالإناث في مرحلة رياض الأطفال، وكذا في الصفوف الأولية وتكرره منه الكتابة في هذا الموضوع، الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله، حيث يطرح أبو زيد (١٤٢١) رفضه للاختلاط بين الجنسين في رياض الأطفال؛ لأنّ المتتبع لتاريخ المسلمين على مدى أزمنةٍ متطاولةٍ، والمتأمل في تعليم صبيانهم في الكتاتيب وغيرها، يجد هذا الاختلاط غير موجودٍ أبدًا، وهو أيضًا ذريعةٌ لدخول آفة الاختلاط بين الجنسين فيما فوقها من مراحل التعليم.

ومن باب أولى أن ترفض الدعوة إلى الاختلاط في الصفوف الأولية من المرحلة الابتدائية، وليحذر كل مسلمٍ من أن ينخدع بهذا الموضوع.

ولما يطرح دعاة الاختلاط أن يكون في المراحل الأولى من الدراسة وأنّه لا حرج فيه، ليكسروا بذلك الثغرة الموجودة في المجتمعات الإسلامية من الاختلاط، وتجد تساهلًا عند كثيرٍ من الناس.

وحذر من التفريط والاستجابة لفتنة الاستدراج إلى مهاوي الردى، وكل امرئٍ حسيب نفسه، ودعا أهل الإسلام لأنّ يتقوا الله في أحوالهم، وعليهم أن يحسبوا خطوات السير في حياتهم، وليعلموا أنّ كل راعٍ مسؤولٌ عن رعيته، فليحافظوا على رعاياهم. ص ٧٨/٨٦.

فالشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ركز على نقطةٍ في حديثه حول الاختلاط في مرحلة رياض الأطفال والصفوف الأولية، وهي أنّ طرح هذا الموضوع لهذه المرحلة فقط ليس من قبيل احترام القيم والمبادئ الإسلامية، والتي تحذر في نصوصٍ واضحةٍ من اختلاط الذكور بالإناث، بل لأنّهم يرون أن تغيير القيم والأفكار في المجتمعات يكون تدريجيًا ومرحليًا.

فيبدأ بالقضايا التي يتقبلها المجتمع لأنّ الموضوع قابلٌ للنقاش، ولا يعارض صراحةً قيمهم وأفكارهم التي استمدوها من مفكريهم ومرجعياتهم، وإن كان طرحهم قد ينبري له بعض المفكرين المسلمين في الرد عليه، لكن الموضوع قد لا يرد على إنكاره نصٌ صريحٌ فيحاولون أن يمروه على المجتمع بهدوءٍ.

فإذا أصبحت القضية المطروحة مستساغةً لدى المجتمع وألفها وهدأ المعارضون لها، بدأوا في صعود درجةً ثانيةً من التنازلات التي يرفضها المجتمع، لكن رفضه سيكون أخف قليلاً؛ لأن الدرجة الثانية قريبة من القضية الأولى.

ويبدأ سلم التنازلات حتى يفاجأ المجتمع بتغييرٍ كبيرٍ في قيمه التي كان يفاخر بها، ولا يسمح لأي مخلوقٍ النقاش في مشروعيتها.

وهذه النباهة والوعي من المفكر والعالم بكر أبو زيد رحمه الله ليست بغريبةٍ على مفكرينا المسلمين، فقبله ابن باز رحمه الله في بدايات القرن الرابع عشر طرحت قضية اختلاط الذكور والإناث في المرحلة الابتدائية، فعارض ذلك الأمر فيذكر ابن باز (١٤٢١) أنّه قد اطلع رحمه الله على مقالٍ كُتب في صحيفة الجزيرة يوم ١٤٠٣/٤/١٥ عدد ٣٧٥٤، وكان صاحب المقال يطرح رؤيةً تطويريةً للتعليم الابتدائي بأن يتم الاختلاط بين الطلاب والطالبات.

ورد عليه ابن باز بأنّ هذه الرؤية لها عواقب لا تحمد عقباها، فإنّ الاختلاط أمرٌ لا يجوز في شريعة الإسلام، فهو وسيلةٌ لشرٍ كثيرٍ ولفساد المجتمع، واستدل في رد هذه الفكرة بقول النبي ﷺ: «مروا أبنائكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع» ثم علق على الحديث بأنّ هذا الأمر من النبي ﷺ بأن يتم التفريق بينهم في المضاجع؛ لأنّ اقتراب البنت من الولد في سن عشر سنوات وما بعدها وسيلةٌ لوقوع الفاحشة، ومما ذكر ابن باز أنّ اجتماع الطلاب والطالبات في المرحلة الابتدائية في كل يومٍ دراسيٍ وسيلةٌ لنفس الأمر من الوقوع في الفاحشة.

إضافةً إلى أنّه وسيلةٌ لأن يفرض الاختلاط في المراحل الأخرى من التعليم.

وعلى كل الأحوال فإنّ اختلاط الطلاب بالطالبات في المرحلة الابتدائية منكرٌ، لا يجوز فعله لما يترتب عليه من أنواع الفساد والشرور.

ثم ذكر رحمه الله مسألة سد الذرائع المفضية إلى المعاصي والشرك، وأن سد الذرائع دلت عليها دلائل كثيرةٌ من القرآن والسنة، أوردها الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه إعلام الموقعين وأوصلها إلى تسعةٍ وتسعين دليلاً.

ثم ختم ابن باز رسالته بنصيحته للكاتب وأمثاله ألا يقترحوا على مجتمعنا المسلم ما يفتح عليه من أبواب شرٍ قد أغلقت. ص ٢٣٤

وفي رسالة الإمام ابن باز رحمه الله الفتوى بعدم جواز الاختلاط بين الطلاب والطالبات في المرحلة الابتدائية، واستدل بحديثٍ وقاعدةٍ فقهيةٍ، وقد كان معروفًا باتباعه للكتاب والسنة، وقافًا عند النصوص، وورعًا عن إطلاق الأحكام الشرعية بتعجل أو بلا علمٍ، ومع هذا فهو هنا يقرر التحريم، ويذكر أنّ هذا القرار فيما لو أقر فإنّه سيكون بوابةً لفتح باب الاختلاط على مصراعيه.

وقرر أنّ قاعدة سد الذرائع التي يزدريها بعض الكتاب، وأنّها شماعةٌ لتحريم ما أحل الله، إنّما هي قاعدةٌ أصيلةٌ تمسك بها علماء الأمة ومفكروها، واستدل عليها بقرابة مائة دليلٍ.

بل حذر من وقوع الفاحشة في هذا العمر، وليس كلامه وتحذيره يعتبر الأول من المفكرين المسلمين، بل سبقه في ذلك جمعٌ من المفكرين، منهم أحد مفكري القرن السادس الهجري لما تحدث عن حكم نظر المراهق للمرآة الأجنبية، حيث يؤكد العمراني (١٤٢١) أنّ للشافعية قولان في دخول المراهق على المرآة الأجنبية، والأول هو أنّ الصبي المراهق كالرجل البالغ الأجنبي معها، فلا يحل للمرأة أن تخرج له ولا أن يراها لقول الله تعالى: ﴿ **أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء** ﴾ (النور: ٣١)

وفسر العمراني معنى الآية بأنّه الطفل الذي لا يقوي على الجماع فهو كالبالغ.ص ٩/١٢٨

ويؤكد هذا المعنى المفكر الإسلامي المعاصر الشيخ عبد المحسن العباد، لما تحدث حول الاختلاط في الصفوف الأولية، فذكر العباد (١٤٣٠) في معرض حديثه حول محاذير الاختلاط في الصفوف الأولية أنّ الله لما ذكر في سورة النور الأصناف التي يجوز للمرأة أن تبدي زينتها لهم، ومنهم الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء.

فبين حفظه الله أنّ الأطفال المميزين في سن الثامنة والتاسعة، قد يجعل لهم من الوعي والفطنة في أمر النساء ما يكون به من الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء، فلا يجوز للمرأة أن تبدي لهم زينتها، ولا أن تدرسهم في هذا السن، وكذلك لا يصح أن يجمع بينهم وبين الفتيات اللاتي هن أسرع في البلوغ من الذكور. ص ٢

والمقصود عند الفقهاء بالمراهق هو الذي قارب البلوغ، يقول السيواسي (١٤٠٠): ((فسر الصبي المراهق في الجامع، فقال غلام لم يبلغ ومثله يجامع، وفي المنافع المراهق هو الداني من البلوغ، وقيل الذي تتحرك شهوته ويشتهي الجماع)). ص١٨١/٤

فالمراهق عند المفكرين الأوائل هو من قارب البلوغ بخلاف معناه في العصر الحاضر، والذي يراد به الفتى البالغ.

بذلك نعرف أنّ الإمام العمراني قرر تحريم دخول الطفل المقارب للبلوغ على النساء ومخالطته للفتيات، وينبغي علينا ألا نخلط بين مصطلح المراهق في العصر الحاضر وبين المراهق عند المفكرين المتقدمين، وبينهما فرقٌ كبيرٌ.

والبلوغ ليس محصوراً بعمرٍ معينٍ، بل قد يتم كما سبق في التاسعة أو قبله في تقرير الشافعي لهذا وغيره، لكن الذي أشار له العمراني أنّ النشاط الجنسي غير متوقفٍ على البلوغ بل يبدأ قبل البلوغ.

وقد قرر ذلك با حارث (١٤٣٣، ب) بأننا لو افترضنا أن سن البلوغ يتأخر، فإنّ النشاط الجنسي لدى الطفل من الذكور والإناث يبدأ قبل البلوغ بسنواتٍ، فإنّ مقدرة هذا الطفل على الجماع مقررةٌ بل وحصول شيءٍ من الاستمتاع الشهواني تسبق القدرة على التناسل.

وأكد حفظه الله أنّ حكم اختلاط الولد المقارب للبلوغ بالفتاة البالغة، يأخذ نفس حكم اختلاط البالغ بالفتاة البالغة عند جمعٍ من أهل العلم. ص ١٤٧

وبعد هذا التأكيد من مفكري التربية الإسلامية على خطورة الاختلاط بين الجنسين في التعليم، حتى الصفوف الأولية، وأوصلوا الأمر إلى درجاتٍ عاليةٍ من التأثير الأخلاقي والتربوي، فالأولى أن يتنبه لهذه الأقوال.

والمتأمل في العائد التعليمي المطروح وبين ما يقابله من مثالب وصلت إلى درجاتٍ قد تضر بكامل العملية التعليمية وسيرها؛ يرى أنّ المثالب تغلب على المحاسن.

ولعل الباحث يسلط الضوء على الحديث الذي استدل به ابن باز رحمه الله (وفرقوا بينهم في المضاجع) وماذا قال المفكرون المعاصرون تجاه هذا الحديث ، وعلاقته باختلاط الجنسين في الصفوف الأولية.

فهذا المفكر الشيخ صالح الفوزان لما تحدث عن حديث: (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع).

فذكر البداح (١٤٣١) تعقيب الفوزان بأنّ هذا الحديث فيه ردٌ على من يرى باختلاط الطلاب في الصفوف الأولية في التعليم. ص ٢٦

ففي الحديث أمر الأولاد والبنات بالصلاة، وحثهم على عمود الإسلام وأعمارهم سبع سنواتٍ ، وهو العمر الذي يكون فيه الطالب في الصف الأول الدراسي، ويربى على شعائر الإسلام، وهذا

يدل على أنّ الطفل في هذا السن بدأ يميز، ويخاطب على أنّه مميزٌ، ولا يليق أن يخاطب بأنّه لا يعي ولا يفهم، فلو كان فعلًا لا يعي لما أمر الشارع بأن يأمر الوالد طفله ذو السبع سنين أن يصلي الصلوات الخمس.

وتشير التلمساني والقرني (١٤٣٤) أنّ أمر الطفل ذو السبع سنوات بالصلاة في هذا العمر، فهو يؤمر كذلك بسائر أمور الشرع، ومنها الانفصال عن الإناث، وعدم مخالطتهم لغير ضرورةٍ.

فإنّ تربية الطفل في هذا السن على الانفصال عن الإناث يعتبر مصلحةً لكل ذي لبٍ، ولا ينبغي أن تفوت هذه المصلحة المؤكدة أمام المصلح الموهومة،وهي أن الأنفع للطفل أن تعلمه أنثى.ص ٢٥٥٤

ومن المبادئ التي قررها مفكرو التربية الإسلامية وعلماء الشريعة، أنّ دفع المفاسد مقدمٌ على جلب المصالح، ولو كان الطرح الموجود بأنّ الاختلاط بين الجنسين أنفع للعملية التعليمية، ويعطيها إضافةً ودفعةً للتقدم صحيحًا ومبنيًا على دراساتٍ علميةٍ، فإنّ مفكري التربية الإسلامية يردون هذا الاختلاط ويحذرون منه لمفاسد محققةٍ، سواءٌ في الجانب التعليمي أو التربوي، بل حتى على المستوى الأخلاقي والقيمي، وسيورد الباحث طرفًا من هذه المفاسد الواقعة، وقد حصلت لبلدان طبقت الاختلاط وذلك في المبحث الثاني.

بل إنّ البلوغ في مرحلة الصفوف الأولية واردٌ خصوصًا لدى الفتيات، ولقد ثبت هذا عند المفكرين المتقدمين رحمهم الله كما أسلف الباحث، وهو أيضًا ثابتٌ عند المعاصرين من المفكرين وفي الطب الحديث.

يذكر السبت (١٤٢٣) التجربة التي نقلتها استشارية في طب الأطفال في إحدى الصحف، لما تحدثت عن البلوغ عند الأطفال، فأكدت أنّ الفتيات يسبقن الأولاد في البلوغ غالبًا، وأن بلوغهن عادةً يكون بعد تسع سنواتٍ، وفي حالاتٍ تكون الفتاة ذات الثمان سنوات قد بدأ بلوغها، وليس هذا من

قبيل الشاذ بل هو مسألةٌ طبيعةٌ.

وتصف الاستشارية البلوغ المبكر لدى الفتيات أصبح ملحوظًا في الآونة الأخيرة –وقد كتبت المقال ١٤٣٠ هـ– وعزت أسباب هذا البلوغ المبكر الملحوظ إلى الزيادة في نسبة استخدام المواد الكيميائية أو الهرمونات، التي هي موجودةٌ في المواد الغذائية التي يتناولها الفتيات، وقد يكون نفس الزراعة أو البيئة المحيطة بنا هي أبرز الأسباب لهذا الأمر وزيادته الغير مسبوقة.

وتضيف الاستشارية أنّ البلوغ المبكر لدى الفتيات له ارتباطٌ بالسمنة وزيادةً الوزن لدى بعضهن. ص ١٨

ولقد تحدث الباحث عن النمو الجنسي في فصل خصائص النمو لمرحلة الصفوف الأولية، وكذلك في المبحث الأول من هذا الفصل، وأنّ البلوغ ليس بأمرٍ شاذٍ، أو حالاتٍ نادرةٍ، بل هو واردٌ في الحالات الطبيعية.

ومما يزيد حالات البلوغ المبكر المشاهد الغير أخلاقية على هيئة صورٍ أو أفلامٍ، سواءًا مناظر مخلةٌ بالأخلاق أو فيها مناظر جنسيةٌ، فكلا الأمرين يعجل ببلوغ الأطفال، وهذا أمر واضحٌ للعيان مع انتشار القنوات الفضائية، والتي تبث في الفضاء بلا رقابةٍ أخلاقيةٍ، ولا مراعاةً للقيم الإسلامية التي تحفظ الأجيال والمجتمعات، ومن البلاء المعاصر أيضًا الاستخدام السلبي للشبكة العنكبوتية ووسائل التواصل الاجتماعية في نشر الرذيلة، وأصبح وقوع الأطفال على مثل هذا السقوط والانحطاط يسيرًا ومتوفرًا في أغلب البيوت المسلمة.

ولقد أشار باحارث (١٤٣٣،ب) أنّ البلوغ المبكر واردٌ، وغالبًا ما تكون الفتيات أسبق من الأولاد، حيث قرر حصوله في سن الثامنة للفتيات، بينما الفتيان فقد يحصل في سن العاشرة، وأضاف أنّ سن البلوغ بدأ ينقص بوضوحٍ لدى الجنسين في زماننا. ص١٤٦

فإذا تقرر أنّ سن البلوغ عند الإناث ثمان سنواتٍ، والذكور عشر سنواتٍ، ومما أكده المفكرون أيضًا النشاط الجنسي للطفل قبل البلوغ بسنواتٍ، فإنّ مرحلة الصفوف الأولية إن لم يبلغ فيها الطفل، فإنه سيكون في مرحلة النشاط الجنسي الذي سماه المفكرون المتقدمين المراهقة وهذا الأمر ينبغي التأمل فيه.

وقد دون الغضبان (١٤٠٤) في كتابه (حكم تعليم النساء) رأيه في الاختلاط في الصفوف الأولية، فذكر حجة دعاة الاختلاط المعروفة أنّ الأطفال بعيدين عن الجنس، وليس لهم إلا مشاعر الفطرة والبراءة، وذكر أنّ موقفهم يشبه موقف المشركين حين يتحدثون عن منافع الخمر، وينسون إثمه الكبير.

وبدأ بذكر بعض الآثار السلبية لاختلاط الأطفال في الصفوف الأولية، فذكر أنّ الاختلاط يجعل هذا المبدأ عند الطفل أساسًا، وهو الأصل، فيقيم صداقاته كما يهوي مع صديقه أو صديقته، ويكونان صداقةً مشتركةً، فإذا جاءت المرحلة التي يتم فيها الفصل بينهم يشعر بفقدان صديقٍ عزيزٍ على قلبه.

بل يجد لهذه الصداقة حنينًا في قلبه، لذا تجده يواصل هذه العلاقة بطرقٍ غير الدراسة خصوصًا في مرحلة المراهقة، فيختلط الحنين الطفولي لتلك الصداقة مع التهيج الجنسي لدى الطرفين.

بل إنّ هذه الفكرة –الاختلاط في الصفوف الأولية– من وجهة نظر الغضبان توجد ردة فعلٍ سلبيةٍ للطالب والطالبة، حيث يرون أنّ المعلمين والمدرسة تكن لهم العداء، لأنّها حالت بينهم وبين ما زرع في نفوسهم من الاختلاط.

بل يصبح من أهدافهم الرئيسة أن تتكسر الحواجز، ويعتبرون عدم الاختلاط هو كبتًا لمشاعرهم، ويحقدون على المجتمع المدرسي الذي حال بينهم وبين رغباتهم. ص ٢٦– ٢٧

وما ذكر من هذا المفكر يؤكد ما قرره المفكرون المسلمون من قبل حول قضية علاقة الاختلاط

بالميول الغريزي بين الذكر والأنثى، ووجود هذا الأمر حتى عند أطفال مرحلة الصفوف الأولية.

ومن الأمور المقررة عند علماء الاجتماع أنّ كل ممنوعٍ مرغوبٍ، فلما يبدأ الطفل بالاختلاط بالأنثى ويصادقها ثم يحرم منها، فهذا يولِّد تعلق أكثر بهذا الممنوع، مع أنّه لو بقي على فطرته السليمة ولم يخرج من بيئة منزلة وبيئته الذكورية في مدرسته وحيه ومسجده، لكان أسلم له.

وبعد أن أورد الباحث في هذا الفصل نشأة الاختلاط، وكيف بدأ، ومن الذي أدخله لبلاد المسلمين، وأنّه طارئ على المجتمعات الإسلامية، ودون أقوال المتقدمين من مفكري التربية الإسلامية في الاختلاط بين الجنسين في الصفوف الأولية، وكيف أنّ القرون الإسلامية تتابعت على التحذير منه وعاقبة الاختلاط.

وبعد ذلك ذكر أقوال المعاصرين، والتحذير الصريح من موضوع الاختلاط بين الجنسين في الصفوف الأولية، لأنّهم عاصروا القرارات المطروحة والمنادية بذلك.

ومع أنّ الموضوع دقيقٌ ومحددٌ في مرحلة الصفوف الأولية، إلا أنّه قد تطرق له جمعٌ من مفكري التربية الإسلامية، وأسهموا برأيهم فيه، وما ذاك إلا لأنّه أمرٌ ذي بالٍ، ويعني لهم أمرًا مهمًا، فحريٌ بكل من أراد أن يتطرق لهذا الموضوع الرجوع لأقوالهم.

الفصل الرابع

أهم الانعكاسات الأخلاقية والعلمية لاختلاط الجنسين في التعليم بالصفوف الأولية من وجهة نظر المفكرين الغربيين والدراسات الحديثة المعارضة للاختلاط

المبحث الأول: المعارضين للاختلاط في التعليم من المفكرين الغربيين.

المبحث الثاني: الأبحاث والتقارير الحديثة التي عارضت فكرة الاختلاط في التعليم.

تمهيد:

"الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها"(الترمذي ، ١٤٣٤-٢٦٨٧)هذه قاعدةٌ نبويةٌ، قعدها النبي ﷺ لأهل الإسلام، وسار عليها في حياته عليه الصلاة والسلام.

ففي غزوة الأحزاب قَبِل فكرة سلمان الفارسي رضي الله عنه لما أشار بحفر الخندق، وهي فكرةٌ من بلاد فارس، وعمر لم يتردد رضي الله عنه في تدوين الدواوين واقتباسها من الفرس والروم.

فإنّ من أراد إقامة حضارةٍ لأي مجتمعٍ، فلا بأس أن يستفيد من حضارات المجتمعات الأخرى، مع وجود آليةٍ لاستيراد الأفكار، بحيث يتجنب الذوبان الثقافي في هوية المجتمع الآخر، ويأخذ ما عنده دون تمحيصٍ لما يصلح وما لا يصلح.

والتعليم هو ركيزةٌ من ركائز الحضارات، الذي يبنى عليه التوجيه لتلك الحضارة وذلك المجتمع، فلابد أن تكون منطلقاته ونظمه منبثقةٌ من عقائده وتصوراته.

قال أبو زيد (١٤٢٧) "يقول أبو الحسن الندوي: ليس من المعهود ولا من الجائز أن تستورد أمةٌ لها شخصيتها ورسالتها، ولها عقائدها ومناهج حياتها، ولها طبيعتها ونفسيتها، ولها تاريخها وماضيها، أن تستورد نظامًا تعليمًا من الخارج " ص ٥٠.

إذًا لابد لنا أن نعتز بقيمنا ومبادئنا، وتاريخنا وتراثنا الإسلامي العريق، ولا بأس أن نأخذ من الأمم الأخرى ما يساعد في رقي مجتمعنا المسلم، بشرط ألا يتعارض مع قيمنا وتراثنا الذي قرره المفكرون المسلمون وعلماء الإسلام، وبنوا به مجدًا وحضارةً لا يزال العالم يذكرها إلى الآن.

فرؤيتنا الإسلامية تجاه الاختلاط قد وضحها الباحث في الفصل السابق من خلال عرض آراء مفكري التربية الإسلامية في القديم والحديث، وكانت الرؤى تتفق أن هذه الفكرة تخالف منطلقات وقواعد الشرعية الإسلامية.

وسيورد الباحث في هذا الفصل الرؤى الغربية والأبحاث والدراسات الحديثة، التي تتفق مع الرؤية الإسلامية، فهناك من ينادي باختلاط الصفوف الأولية، وجميع المراحل الدراسية في التعليم، وهم السواد الأعظم من مفكريهم، بل هو مطبقٌ ومعمولٌ به في دول العالم الغربي.

وهناك فريقٌ آخر من المفكرين والباحثين الغربيين يعارض الاختلاط في التعليم، بل يوجد من جعل مشروعه التربوي الذي ينادي به هو الفصل بين الجنسين في التعليم عمومًا ، وفي الصفوف الأولية خصوصًا.

وهذه الفئة هي التي ستكون مادة هذا الفصل وسينقل الباحث آرائهم واطروحاتهم التي توافق ما قرره مفكروا التربية الاسلامية .

المبحث الأول: المعارضين للاختلاط في التعليم من المفكرين الغربيين:

إنّ من الأمور التي عرف بها المجتمع الغربي تميزه في لغة الأرقام والإحصاءات، فلو أردت أن ترجع للأرقام المدونة للحالات المتضررة من آثار الاختلاط في التعليم لرأيت ما يدعو للمراجعة والتأمل: يقول الأزرق (١٤٢٩): "الاستبانات والدراسات الأمريكية الرسمية تفيد بأن نسبة (٨٧,٩%) من مجموع طلاب المدارس الثانوية، مارسوا اتصالًا جنسيًا في حياتهم، نسبة (٢٢%) منهم قبل سن الثالثة عشر، وليتأمل هذا من يدعوا للاختلاط في المراحل الابتدائية " ص ١٥٦.

ولعنا نفهم من النقل السابق أنّ الاستفتاء لم يتطرق لطلاب وطالبات الجامعات، ولم يدخلوا في الحساب.

وبعدا هذا الألم تجد من يفتخر بالانفتاح الغربي بين الجنسين، سواءٌ من المفكرين الغربيين، أو من المسلمين المتأثرين بالأفكار الغربية.

وتجد الغيارى على مجتمعهم من المفكرين الغربيين ممن لهم حظٌ من النظر والفطرة السليمة، يتحدث بمرارةٍ عن الواقع، وعن سلبيات الاختلاط بين الجنسين في التعليم، ويطالب بالفصل.

وسيبدأ الباحث بالنقل عن أبرز الدول الغربة وأعظمها وهي الولايات المتحدة الأمريكية ، و ما دونه بعض مفكريها المعارضين للاختلاط في التعليم .

ينقل لنا السبت (١٤٣٣) رأي الكاتبة الأمريكية هيلسياستا تبسري المهتمة بمرحلة الأحداث دون العشرين سنة، بل هي متخصصةٌ في هذه المرحلة، فخرجت من خلال دراساتها لواقع المرحلة، وما فيها من نقاط قوةٍ وضعفٍ وتأملٍ في الميدان التربوي والتعليمي، أنّ الاختلاط غير مناسبٍ لهم، وأصبحت تنادي بالفصل بين الأحداث ما قبل سن العشرين، وتحكي أنّ المجتمع الأمريكي عانى من الاختلاط كثيرًا. ص ١١٠.

ولو رأينا المعاناة التي تحكيها الكاتبة الأمريكية من الاختلاط، والتي ذكرت أنّ أثرها على المجتمع الأمريكي برمته، ويتضح من خلال حديثها أنّها لم تطالب بفصل الاختلاط من سِن معينةٍ، بل من الطفولة حتى سن عشرين سنةٍ.

ومما دونه بعض المفكرين الأمريكيين ما أورد الحنبلي (١٣٥٩) في مجلة الرسالة الأسبوعية للإدارة والعلوم والفنون، وكان قد كتب مقالًا بعنوان (التعليم المختلط،) ونقل منه آراءً تربويةً ووجهات نظرٍ لمفكرين غربيين، منها ما نقله عن الأستاذ Henning أحد المربين الأمريكيين، والذي عايش الاختلاط في المدارس الابتدائية، وتأمله لقرابة خمسة عشر سنةً، ثم ذكر مدى الصداقة العميقة والحب الكبير بين الطلاب والطالبات، والتي تمتد إلى خارج أسوار المدرسة، سواءٌ في أماكن عامةٍ، أو زياراتٍ منزليةٍ، بل إن الأصل أن ترى العلاقة بين طالبٍ وطالبةٍ تمتد خارج اليوم الدراسي.ص ١٠١٥.

وهذا الأثر السلبي للاختلاط في التعليم قد وصل صداه إلى رأس الهرم في العملية التعليمة في الولايات الأمريكية، حيث يذكر السبت (١٤٣٣) أنّ وزير التربية في الولايات المتحدة الأمريكية تحدث في بيان صحفي، أنّ الوزارة ترغب في إبداء مرونةٍ أكبر في قضية الفصل بين الجنسين في التعليم، والسماح بافتتاح مدارس الجنس الواحد، ولقد حث الوزير التفاعل مع الموضوع، وأن يبدي أولياء أمور الطالبات وجهة نظرهم حيال مدراس الجنس الواحد.

وكان هذا البيان بتاريخ ١٤٢٣/٢/٢٦ هـ ، وفي سبيل توضيح الخبر ذكرت الصحيفة الرسمية أنّ الهدف من الفصل بين الجنسين وإنشاء مدارس الجنس الواحد، هو توفير وسائل جديدةٍ تساعد الطلاب والطالبات على التركيز على دراستهم وتحصيلهم الدراسي، لتحقيق نتائج أفضل.ص ١٩١.

هذا التصريح الرسمي من وزير التربية على مستوى أعظم دولةٍ غربيةٍ، يعتبر بمثابة وثيقةٍ رسميةٍ تبين مدى المعاناة التربوية التي تعاني منها المدارس المختلطة في ذلك المجتمع المنفتح، والذي يعايش الانفتاح

بين الجنسين في جميع ميادين الحياة العامة.

فالطالب يرى الاختلاط في الشارع ووسائل النقل العامة وفي السوق وغيرها من الأماكن، ويعتبر الاختلاط بين الذكر والأنثى في المدرسة ميدانًا من تلك الميادين، فليس بمحروم -كما يقول البعض- من رؤية الأنثى في جميع الميادين، لذلك لا تجده منشغلًا بها في المدرسة ، بل هي معه في كل مكانٍ، ومع هذا ينشغل بالأنثى في المدرسة، وكذلك الأنثى تنشغل به، وهذا ما أكدته تلمساني والقرني (١٤٣٤) في أنّ الخبير التربوي الأمريكي الذي قام بكتابة قانون المدارس غير المختلطة في عهد الرئيس الأمريكي بوش الابن، وهو السيناتور بيل هيو تشون، وضح للجميع التبرير لقرار الفصل بين الجنسين في المدارس، بأنّ ذلك يسهم في الارتقاء بتحصيلهم الدراسي وأدائهم التعليمي، نتيجةً لابتعادهم عن الفتيات وعدم انشغالهم بهن.

حتى الفتيات ينعكس الفصل بالإيجاب على مستواهم الدراسي، وترفع نسبة الثقة بالنفس لديهن، لابتعادهن عن الأولاد، وعدم الانشغال بهم أو التفكير بهم. ص ٢٥٥٦.

والتبرير من هذا الخبير التربوي مؤشرٌ للأثر العكسي للاختلاط على العملية والتعليمية، فكما أنّ الطالب والطالبة هما الركيزة الأساسية في العملية التعليمية، فلابد من العناية بالبيئة التي يتلقى فيها الطالب العلم والمعرفة، فهذا الخبير ينادي بفصل الاختلاط، بل شرع قانونًا للمدارس الغير مختلطة في جميع المراحل الدراسية، لأنّه رأى النتائج الإيجابية لهذه المدارس، ومستوى التفوق الدراسي في بلاده وما حوله من البلاد.

في دولة جامايكا في أمريكا الشمالية توجد المدارس الغير مختلطة بشكلٍ واسعٍ، ومن إيجابيات تلك المدارس وجدوا أنّ البنات في المدارس الثانوية الخاصة بالفتيات، تكون نتائج الرياضيات والعلوم أفضل بكثيرٍ من نتائجهن في المدارس المختلطة.

إذا عرفنا هذا التفوق الدراسي الكبير كما تذكر الدراسة، وذلك الأثر السلبي إذا تواجد الطالب والطالبة في بيئةٍ واحدةٍ كما قرره الخبير التربوي الأمريكي، فالأولى بنا كمجتمعٍ مسلمٍ أن ننظر لسير أولئك القوم، وما كانوا فيه من أخطاءٍ، وبدأوا يتراجعون عنها، ألا نسيرهم مسارهم الأول ثم نعود، بل السعيد من وعظ بغيره.

ولعل المنصف يتعجب غيرة أولئك المفكرين والتربويين على أبناء المجتمع الأمريكي، بل شجاعتهم وجرأتهم على طرح الآراء التي قد تبدو مناقضةً للقيم والمبادئ التي قام عليها ذلك المجتمع الأمريكي، مثل مبدأ الحرية، ومبدأ المساواة بين الجنسين، والذي يمنع أي صور التمييز بين الذكر والأنثى، واستطاعوا أن يصلوا بتأثيرهم إلى صناع القرار السياسي في البيت الأبيض، حيث يذكر السبت (١٤٣٣) تصريح أحد المسؤولين الكبار في البيت الأبيض أنّهم سيمنحون تمويًلا جزلاً للمدارس الابتدائية والثانوية، التي تود إقامة مدارس منفصلةً للذكور وأخرى للإناث، وأن تمويلهم سيفوق تمويل المدارس التي تختار البقاء على النظام التعليمي المختلط بين الذكور والإناث. ص.١٩٢

وإذا تظافر القرار السياسي مع آراء المفكرين فإنّ هذا يعطي قوةً لأي فكرةٍ يطرحها أولئك المفكرين، خصوصًا إذا كانت الأفكار في مصلحة المجتمع والرقي بالإنسان، فستجد قبولاً في أوساط ذلك المجتمع.

لذلك يذكر السبت (١٤٣٣) تزايد الاهتمام بالتعليم غير المختلط في الولايات المتحدة الأمريكية في التسعينات، وبدأت الأطروحات التربوية والفكرية في جدوى التعليم غير المختلط، فبدأت المدارس في عام ١٤١٦ بثلاث مدارس غير مختلطةٍ، وازداد الطلب عليها، ولما وصل التأثير إلى صناع القرار السياسي بجدوى الفصل، ودعموه بالبرامج التمويلية، وسمى ذلك القانون باسم (NCLB 2002)، وذلك كان في عام ١٤٢٣هـ.

وأصبح التنامي في إعداد المدارس الغير مختلطة يراه أهل التربية، وأصبحوا يرون ثمار آرائهم وأطروحاتهم، حتى وصل عدد المدارس الغير مختلطة ٥٤٧ مدرسة عام ١٤٣٠هـ، بحسب إحصائيات المنظمة الوطنية للتعليم العام غير المختلط. ص ١٩١.

لعل الناظر في هذا الطرح من قبل المهتمين بالتربية في الولايات المتحدة الأمريكية، ومدى قناعتهم بجدوى الفصل بين الجنسين في التعليم، وطرح هذه الرؤية من قاماتٍ كبار في وزارة التربية والتعليم، بل حتى من الوزير نفسه، ووصول صدى هذه الفكرة لأروقة السياسة في البيت الأبيض، واقتناعهم بها، وسن التمويل لهذا المسار المنادي بفصل الجنسين في التعليم، ومع ذلك نرى النمو في هذه الفكرة يبدو بطيئًا لو قسمنا ذلك العدد على دولةٍ مترامية الأطراف كالولايات المتحدة الأمريكية، فإذا كان عدد المدارس الغير مختلطة عام ١٤١٦هـ ثلاثًا، ثم يصل العدد إلى ٥٤٧ مدرسةٍ خلال قرابة ١٥ سنةٍ دراسيةٍ، فهذا النمو يعد ضعيفًا ويسيرًا.

ولعل من أبرز الأسباب ما نقله السبت (١٤٣٣) من وجود تنظيماتٍ مناوئةٍ للفصل، وتدافع عن الاختلاط في التعليم. ص ١٩١

وقد يكون لديهم أسبابٌ أخرى لا يعرفها الباحث، لكن الذي نعرفه أنّ المجتمع الغربي يختلف عن المجتمع المسلم في المنطلقات والمبادئ، فالمجتمع المسلم ينطلق من قيم التربية الإسلامية الأصيلة، المستمدة من القرآن والسنة، والمجتمع الغربي في المجمل ينطلق من مبدأ النفعية، أو ما يسمى بالبراغماتية ، وشتان بين مبادئ سماويةٍ ربانيةٍ، ومبادئ سفليةٍ مصلحيةٍ.

ولننتقل إلى دولةٍ أخرى من الدول الغربية العظمى، وهي بريطانيا حيث ينقل لنا السبت (١٤٣٣) تجربة مديرة كلية (تشليتنهام Cheltenham) أنّ أكثر النساء نجاحًا هن اللاتي تعلمن في مدارس مخصصةٍ للبنات، بل في بريطانيا مؤسساتٌ تدعم هذا الرأي المنادي بالفصل من الجنسين في التعليم،

مثل منظمة مدارس الفتيات (GSA). ص ١٩٧

إذا كان النقل من مديرة كلية قد مر عليها الكثير من الطالبات في دفعات عديدة، وتصرح بأنّ الطالبات المتخرجات من المدارس المخصصة للبنات أكثر تميزًا، يدل على أنّ الموضوع ليس قضية أفرادٍ من الفتيات، بل هي ظاهرةٌ وواضحة لكل من يتأمل.

وهذا النجاح لعله من نتائج ظهور التميز الذي ذكره علماء نفس النمو، في بروز مواهب الفتاة في حال خلطتها بمثيلاتها، كما قرره الباحث في الفصل الثاني.

وإنشاء منظمة (GSA) يدل على أنّ العقلاء في التربية لما رأوا هذا النجاح، بذلوا من جهدهم وأموالهم لتعميم النجاح على أبناء المجتمع البريطاني.

وهذه المنظمة وأمثالها تسهم في نشر الوعي بالفكرة التي أنشئت من أجلها وانتشارها، ولعل من نتائج أمثال هذه المنظمة استجابة بعض مدراء المدرس لفكرة الفصل بين الجنسين.

حيث يؤكد السبت (١٤٣٣) أنّ مديرة مدرسة (شفليد) بمقاطعة (إيسكس) في بريطانيا أصدرت قرارًا بفصل البنين والبنات، كلٌ منها في مبنًى بدءًا من العام (١٤١٣/١٤١٤هـ)، وذلك لما رأته من النتائج الجيدة والدراسات التي تحكي نجاح المدارس غير المختلطة. ص ١٩٦.

فلكل أمةٍ مفكروها الذين يحاولون أن يوضحوا الطريق لمجتمعهم، ويصححوا المسار إذا رأوا خللاً، فكلما رأيت في المجتمع ناصحون ومفكرون باذلون لبلدهم، فسترى ذلك المجتمع ينتقل من نجاحٍ إلى آخر، خصوصًا إذا أصغى لهؤلاء المخلصين أصحاب القرار.

وهنا يوضح لنا بفرلي شو (١٤٢٧) تصريح وزير التعليم البريطاني (كينت بيكر)، والذي لقي قبولًا عند المنادين بالفصل بين الجنسين، حيث أكد أنّ وزارته بصدد إعادة النظر والمراجعة للتعليم المختلط بعد أنّ أثبت فشله. ص ٥٧

لما يصرح صاحب أعلى سلطةٍ في التعليم بفشل التعليم المختلط، ولابد من إعادة النظر، والتراجع عن هذا القرار، بل إنّ هذا القرار أصبح له مؤسساتٌ ومنظماتٌ تدعمه، فهذا يدل أنّ موضوع الفصل بين الجنسين أصبح قناعةً مترسخةً، وثبت لهم جدواه ونفعه للعملية التعليمية، حتى وصل أثر هذه القناعة إلى مجلس الوزراء البريطاني.

فهذا السميري والهبدان (١٤٣١) يحكيان القناعة التي وصلت لها الحكومة البريطانية، واعتقاد الوزراء في بريطانيا أنّ الصبيان يحرزون نتيجةً أفضل إذا أقيمت المدارس مستقلةً للأولاد، ومدارس أخرى للبنات.

وأصبحت الحكومة البريطانية تشجع المدارس الحكومية المختلطة على إجراء دروسٍ منفصلةٍ للجنسين، من أجل تحسين المستوى التعليمي للطلاب والطالبات. ص ١٩٥

فهذه القناعة من الحكومة البريطانية بأولوية الفصل بين الجنسين للصبيان في المرحلة الأولية، ورؤية الأثر الإيجابي لهذا التوجه يدل على أنّ موضوع الفصل بين الجنسين في جميع المراحل قد يصح لنا أن نقول إنها مسألة وقتٍ.

وتراجع بريطانيا عن الاختلاط في التعليم ليس حادثًا، بل من عقودٍ، فهذا الطنطاوي (٢٠٠٧) ينشر مقالاً يتحدث فيه عن البنات وعنون له بـ (مع البنات)، وقد كتبه في عام ١٤٠٧هـ تقريبًا، وذكر أنّه في يوم كتابة المقال في جرائد ذلك اليوم أنّ بريطانيا وغيرها من الأمم بدأوا يتراجعون عن سنة إبليس في اختلاط الذكور بالإناث في المدارس، وعودتهم إلى فطرتهم السليمة التي خلقهم الله عليها.

ويذكر الطنطاوي أنّ بريطانيا ليست الأولى في هذا التراجع، بل سبقتها روسيا الشيوعية، ويحكي بألم أنّ بلاده –سوريا– تعليمهم ما زال سائرًا في غيه في اختلاط الذكور بالإناث في التعليم، وختم مقاله بقوله " مما حمى الله هذه المملكة منه ومن أمثاله و أسأله أن يديم حمايتها منها و إبعادها عنه " ص ٨/٢٩٧.

فالطنطاوي رحمه الله يحكي الغبطة لبلادنا المملكة العربية السعودية، بحفظ تعليمها من الاختلاط،

وينعي تعليم بلاده في دخول هذه الآفة لتعليمهم.

والطنطاوي من كبار المفكرين المعاصرين أصحاب التجارب في حقل التربية والتعليم في دولٍ عربيةٍ، فإذا كانت أعظم دولتين في بلاد الغرب يراجعون أفكارهم تجاه الاختلاط، ويسجلون فشله في دراساتهم وينقل ذلك مفكروهم ورواد التربية في بلادهم.

وأنشأوا الهيئات وصدّروا القرارات للفصل بين الجنسين، وأصبح الفصل بين الجنسين في التعليم ينمو يومًا بعد يومٍ، ويزداد الاقصاء للاختلاط، فالأولى أن نتعظ بفشلهم وتراجعهم، ولا نسير مسيرهم.

ولعل الباحث يختم بنقل يحكي معاناة الاختلاط في التعليم في دولةٍ غربيةٍ غير الدولتين الأولين، حتى لا يُظن أنّ التراجع عن الاختلاط فقط في هاتين الدولتين.

يحكي المسيمري والهبدان (١٤٣١) قصة الأستاذ أحمد مظهر العظمة، الذي أوفدته وزارة التربية السورية لدولة بلجيكا، في رحلةٍ علميةٍ زار فيها المدارس البلجيكية، ويحكي العظمة موقفًا له في إحدى زياراته لمدرسة ابتدائية، سأل فيها مديرتها عن سبب فصلهم للبنين عن البنات في مرحلة الابتدائية، فأجابته المديرة :بأنّهم قد لمسوا أضرار الاختلاط للأطفال حتى في مرحلة الابتدائية .ص ٢٣٣

ولو حاولنا أن نفهم عبارة المديرة حول أضرار الاختلاط، نجد الجواب في ثنايا البحث من نقولاتٍ عن علماء نفس النمو ومفكري التربية الإسلامية، وكذلك الغربيين، فالاختلاط له مساوئه التي يلمسها كل منصفٍ لمجتمعه ولأبناء الجيل.

المبحث الثاني: الأبحاث والتقارير الحديثة التي تعارض فكرة الاختلاط في التعليم:

من الظواهر الإيجابية في هذا العصر احترام الأبحاث والدراسات العلمية، خصوصًا الدراسات الميدانية والتي بنت نتائجها وتوصياتها على دراسةٍ للواقع وملاحظةٍ للعينات، بطرقٍ علميةٍ تجعل نسبة المصداقية في هذه الدراسات والأبحاث عاليةً.

لذا أراد الباحث أن يورد في هذا المبحث ما يراه مناسبًا من الأبحاث والتقارير التي تعارض الاختلاط بين الجنسين في التعليم.

وكما أسلف الباحث توجد دراساتٌ تؤيد الاختلاط بين الجنسين في التعليم، لكن الباحث يورد ما يتفق مع ما أورده مفكري التربية الإسلامية من التحذير من الاختلاط والمنع منه.

ينقل لنا السبت (١٤٣٣) النتائج التي توصل لها الباحث (بيتر بونس Peter Ponies)، والذي وصِفَ برائد الأبحاث التربوية: فلقد خرج بيتر بعد أبحاثٍ عديدةٍ له حول أثر الاختلاط على التحصيل الدراسي.

وتوصل بيتر أنّ الطالبات يتفوقن على الطلاب في المدراس الابتدائية (غير المختلطة) في كثيرٍ من المواد والعلوم والمعارف، ووجد أنّهن أكثر قدرةً على الكتابة بشكلٍ جيدٍ، ويحصلن على علاماتٍ نهائيةٍ أفضل.

ورأى من خلال أبحاثه أنّ هذا التفوق يقل بشكلٍ ملحوظٍ وينحدر في الفصول المختلطة، وعزا ذلك إلى انهماك الفتيات في إثبات نضوجهن المبكر، ولتثبت أنوثتها أمام الجنس الآخر. ص ١٢٢

هذه الدراسة تتحدث عن المدرسة الابتدائية، التي يقول البعض أنّهم مازالوا أطفالًا صغارًا، وهنا يقرر رائد الأبحاث التربوية أنّ النتيجة مؤثرةٌ على تحصيل الفتيات.

والأثر الإيجابي للفصل من الجنسين لا ينعكس على الفتيات فقط، بل حتى على الأولاد، فيذكر

لنا السبت (١٤٣٣) مطالبات (ميشيل فيز Michelle Fiz) الباحث في المركز الوطني للأبحاث العلمية، والمستشار السابق لوزير الشباب في فرنسا، يطالب بتطبيق نظامٍ غير مختلطٍ في التعليم، من أجل الحصول على نتائج دراسيةٍ أفضل. وبين أنّه يسمح بفرصٍ أكبر للطلبة ليعبروا عن إمكانياتهم الذاتية. ص ١٢٣.

بيتر ذكر التفوق الدراسي للبنات عند الفصل بين الجنسين، وهنا ميشيل يذكر التفوق للأولاد، وكلا الباحثين اتفقا على أنّ الفصل يعطي نتائج إيجابيةٍ، وكلٌ منهما نظر لجنسٍ معينٍ، والمقصود هو المصلحة للطالب في تحصيله الدراسي.

وأضاف ميشيل جانبًا مهمًا في تنمية الشخصية، وهو التعبير عن الذات والإمكانيات للفرد منهم، وهذه السمة مهمةٌ في صناعة أفرادٍ أقوياء، يعرف كل واحدٍ منهم مكانه الأنسب له، فإذا عرف قدراته ومواهبه، وسعى في صقلها، فهذا سيزيد من إعداد الناجحين في المجتمع.

فطبيعة الصبيان والفتيات إذا اجتمعوا ينشغل كلٌ منهم بالآخر كما ذكر بيتر، وهذا بطبيعته سيضعف من روح التنافس في الجانب التعليمي، ليصرف التنافس لإظهار النفس أمام الجنس الآخر، فالسبت (١٤٣٣) يذكر ما توصلت إليه الباحثة (كالورس شوستر Carilos Schuster) لقضية المنافسة بين التلاميذ، وبينت أنّ توحد الجنس في المدرسة يعلي من روح المنافسة، والاختلاط يلغي هذا الواقع. ص١٢٣

ولقد دون الباحث في الفصل الثاني قريبًا من النتائج السابقة، من حيث المستوى الدراسي، والتنافس الإيجابي، فدراسات علماء نفس النمو توكد أنّ الفصل بين الجنسين يعطي النتائج الإيجابية.

ولتأكيد ما دونه الباحث حول القضايا الأخلاقية التي ذكرها مفكرو التربية الإسلامية، والتي قد تقع في حال اختلاط الذكور بالإناث في الصفوف الأولية وغيرها من المراحل، يؤكد لنا ذلك السبت

(١٤٣٣) في استطلاعٍ للرأي أجرته مجلة سفتيتز (Seventies Maqa Zine) الأمريكية، حيث ذكرت أنّ أعدادًا كبيرةً من الفتيات يتعرضن للتحرش الغير أخلاقي من المدراس الابتدائية، وأنّهن يتعرضن للمضايقات من التلاميذ الذكور وكذلك من المعلمين. ص ١٣٩

قد يكون التعبير بـ (أعدادٍ كبيرةٍ) يُلمس فيه عدم الوضوحِ بأرقام وإحصاءات، فلو اعتراض أحدهم بأنّ المجلة لابد أن تحترم المعايير العلمية في ذكر الأرقام عند استطلاعات الرأي، فيجاب على المعترض بما أضافه السبت (١٤٣٣) حيث نقل لنا تقريرًا من الكونغرس الأمريكي أنّ ما يقارب ٤,٥ مليون ممن يدرسون في المدارس من دار الحضانة إلى الصف الثاني عشر يتعرضون لسلوكٍ جنسيٍ سيءٍ من قبل الموظفين بالمدارس، بل يذكر التقرير نفسه أنّ هذا الرقم لما تم التبليغ عنه وكثيرٌ من الأحيان لا يتم التبليغ عنه، بل في كثير من الأحيان لا يتخذ أي إجراءٍ ضد أولئك الموظفين.

وصدر تقريرٌ آخر من وزارة التعليم الأمريكية أنّ هذا العدد ٤,٥ مليون أقل من الحقيقة.ص ١٣٩

إذا قرأنا الرقم ٤,٥ مليون وحصرناه في الطلاب بين الحضانة إلى الصف الثاني عشر، وأضفناه إليه ما قرره الكونغرس ووزارة التعليم أنّ الرقم غير حقيقيٍ لوجود حالاتٍ كثيرةٍ غير مسجلةٍ، فهذا كله يشعرك بأنّ الرقم كبيرٌ، حتى ولو قارناه بالعدد الإجمالي للسكان في الولايات المتحدة الأمريكية ما يقارب ٣٠٠ مليون نسمة، مع أنّ التقرير صادرٌ قبل عام ٢٠٠٧ حيث كان عدد السكان أقل.

ولإضافة لغة الأرقام ينقل لنا الأزرق (١٤٢٩) دراساتٍ واستباناتٍ أجريت في أمريكا، تبين أن النسبة ٨٧,٧% من مجموع طلاب المدارس الثانوية مارسوا اتصالًا جنسيًا في حياتهم.

ثم ذكرت الدراسات أنّ النسبة ٢٢% منهم قبل سن الثانية عشر أي في المرحلة الابتدائية، وبعد أن أورد الأزرق هذه الإحصائية عقب عليها بقوله: "وليتأمل هذا من يدعوا للاختلاط في المراحل الابتدائية". ص ١٥٦

وإذا رأينا هذه الأرقام حيث وصل نسبة أصحاب التجارب الجنسية ما يقارب ٢٢٪ من مجموع طلاب الابتدائي، وقرأنا الرقم بقراءةٍ واعيةٍ، فيعتبر الرقم مفزعًا –حسب رأي الباحث– فهذه الأرقام تتصاعد مع زيادة الأعمار ووجود الاختلاط بين الجنسين، وأكبر دليل على أنّها ظاهرةٌ مقلقةٌ التراجع الواضح في المدارس الغربية عن الاختلاط، كما دون الباحث في البحث السابق، لكن المؤلم هذا الاستمرار في الاختلاط والتراجع عن هذه الآفة بطيءٌ إذا نظرنا للدراسات والأرقام التي توصل لها باحثوهم ومفكروهم، وهنا أختم بما ختم به صاحب كتاب «الغرب يتراجع عن الاختلاط»، حيث ذكر بفر لي شو (١٤٢٧) أنّ خلاصة بحثه أنّ دعاة المساواة بين الجنسين يدركون خطأ وخطر التعليم المختلط، وأنّهم يتهربون من الحقيقة، وهي أنّ الطالبات يهضم حقهن في المدارس والفصول المختلطة، وأنّ البنت تشعر بسعادةٍ وتتعلم أفضل في الفصول المستقلة.

ومع هذا كله يضحى بهذه الحقائق لتحقيق شعارات المساواة بين الجنسين في التعليم. ص٤٠

ولعل الباحث يضيف أنّ الذكور أيضًا يتعلمون بشكلٍ أفضل في المدارس المنفصلة؛ لوجود روح التنافس بين الجنس الواحد، وعدم وجود المشغلات الأخرى.

الفصل الخامس

الانعكاسات الأخلاقية والعلمية عند تولي المرأة تعليم للذكور في الصفوف الأولية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: آراء مفكري التربية الإسلامية حول تولي المرأة تعليم الذكور بالصفوف الأولية.

المبحث الثاني: الأبحاث والتجارب التي تعارض تولي المرأة.

تمهيد:

خلق الله البشر على صنفين قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَى ﴾ (الحجرات: ١٣) وجعل الله لكل جنس خصائصه ومميزاته التي تميزه عن غيره:﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾ (آل عمران: ٣٦). فلكل جنسٍ قدارته وميوله التي يتميز بها. ومما شرع لكلٍ منها العلم، بل إنّ الإسلام حرص على رفع الجهل عن أهله.

ومن الأمور التي هي مجال دراسة الباحث تعليم المعلمات للذكور في الصفوف الأولية، فقد كانت مثار جدلٍ بين المهتمين بالتعليم، ومدى جدواها تربويًا على الطالب والعملية التعليمية.

فمن مؤيدٍ لتعليم المعلمات للطلاب الذكور، وأنّه من مصلحة الطفل أن ينتقل من حنان الأم ولطفها إلى حنان المعلمة وليونتها، حتى يتسنى له التأقلم مع الأجواء الجديدة عليه في المدرسة، والخروج من هدوء المنزل إلى ضوضاء المدرسة، وستكون حريصةً على التودد إليه بحكم طبيعتها العاطفية.

وهناك في المقابل من يعارض هذا الطرح، ويقرر أنّ الجيل الحالي يعاني من الرقة والنعومة الزائدة، ويحتاج إلى تربيةٍ ترفع من مستوى المسؤولية عنده، والالتزام بواجباته كرجلٍ، والشعور بالجو الرجولي الذي يستقي منه قيم الرجولة، كما أنّ الأنثى لابد لها من الأجواء التي تعينها على أنوثتها.

ولعنا في هذا المبحث نعرض آراء مفكري التربية الإسلامية حتى نستقي من ذلك النبع الصافي.

المبحث الأول: آراء مفكري التربية الإسلامية حول تولي المرأة تعليم الذكور بالصفوف الأولية:

إن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ولقد روى ابن ماجه (١٤٣٠-٢٢٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**).

قال القارى (١٤٠٥): "وأعلم أنّ ورود الأحاديث من طرقٍ كثيرةٍ وتعددها؛ يوجب القول بحسن الحديث" ص ٥٣٧/ ١.

فيتبين أنّ الشريعة الإسلامية أوجبت على الذكر والأنثى طلب العلم والتعليم، وهنا سنبين جنس المعلم أو المعلمة، وما الأفضل في عملية التعليم لكل جنسٍ منها ونخص بالذكر كون الطفل الذكر يتلقى التعليم من المعلمة.

ولعل من المناسب في هذا الموضوع إيراد آية كريمة في سورة النور، تعد عمدة في هذا الباب يقول الله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ (النور: ٥٨).

الآية هنا تبين آداب الاستئذان خصوصًا للأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، ولقد نقل الطبري (١٤٢٠) تفسير عطاء بن أبي رباح، وأنّه يقصد به كل صغيرٍ وصغيرةٍ ص٢١١/ ١٩

ولعلنا نعرف ضابط الصغير الذي يدخل، وهل له استثناءاتٌ عند مفكري التربية الإسلامية، أم أنّه على إطلاقه.

يقول ابن كثير (١٤٢٠) ﴿ **وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ** ﴾ يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء

وعوراتهن من كلامهن الرخيم، وتعطفهن في المعيشة وحركاتهن، فإذا كان الطفل صغيرًا لا يفهم ذلك، فلا بأس بدخوله على النساء، أما إذا كان مراهقًا أو قريبًا منه، بحيث يعرف ذلك ويدريه، ويفرق بين الشوهاء والحسناء، فلا يمكن من الدخول على النساء. ص ٤٩/ ١٩

فالمقصود من قول ابن كثير رحمه الله: يؤذن لدخول الأطفال الصغار على المرأة، فلا إذن إلا في الأوقات الثلاثة الواردة في الآية، ويستثنى من كان مميزًا أو عارفًا لمواصفات المرأة، فيميز بين الجميلة والقبيحة ويدرك ذلك، فعندها يمنع من الدخول على النساء.

وما نعيشه اليوم من انفتاحٍ معلوماتي ودخول الشبكة العنكبوتية والقنوات الفضائية إلى البيوت، مع ما تحويه من خيرٍ كبيرٍ، إلا أنّه يصاحبه أضرارٌ أخلاقيةٌ وتربويةٌ قد تكون أثرها كبيرًا على مستوى المجتمع، وإذا لم يطرح التربويين الأفكار الترشيدية لاستخدام هذه الوسيلة النافعة فقد تضر، سواءًا الشبكة العنكبوتية أو القنوات الفضائية.

ولقد أوردتا التلمساني والقرني (١٤٣٤) دراساتٍ ببعض الآثار السلبية للاستخدام السلبي للقنوات الفضائية، حتى أصبح الصغير يعرف ما يعرفه الكبار قبل بلوغه.

وذكرت دراسة أجربت لمعرفة أثر التلفزيون على الأطفال، فتبين من الدراسة أنّ جميع الآثار الأخلاقية، التي خرج بها الباحثون سلبيةٌ بل إنّ إثارة الغرائز لدى الأطفال حصلت على المرتبة الثانية في الآثار الأخلاقية السلبية للتلفاز، ويرى ذلك ٥١% من أفراد العينة. (ص ٢٥٣٤).

ولعلنا نعود إلى الوقوف مع الآية الكريمة والتي حددت لنا المسموح لهم بالدخول على النساء ومخالطتهن، وكلام المفكرين التربويين وعلماء الإسلام حولها.

يفسر ابن سعدي (١٤٢٠) في كلامٍ نفيسٍ حول هذه الآية، وأنّ المقصود بالأطفال الذين لم يبلغوا الحلم هم ما دون التميز، فيجعل الضابط لهم هو عدم التمييز؛ لأن الله وضح العلة من جواز

الذين لم يبلغوا الحلم وهي ﴿ **أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء** ﴾ (النور: ٥٨) والمقصود أنّهم ليس لهم علْم بعورات النساء، ولا يستوعبون النظر إلى المرأة.

فإنّ كان الطفل يخبر ذلك ويعرف عورات النساء والنظر إلى النساء، فإنّ هذا تستتر منه المرأة، لأنّه يعد ممن يظهر على عورات النساء، فلا ينطبق عليه الشرط في الآية، فعندها يمنع من الدخول على النساء . ص ٦٦٢.

وتؤكد التلمساني والقرني (١٤٣٤) أنّ من أهل العلم من ذكر أنّ الطفل إذا أصبح ينظر إلى المرأة كثيرًا، ويحب التحدث إليها كثيرًا، فعندها لا يجوز للمرأة أن تكشف أمامه، ويجب عليها الحجاب الشرعي، وهذا يختلف باختلاف الصبيان من حيث الغريزة الجنسية، والذي يؤثر فيها مجالسه التي يجلس فيها، فإنّ كان ممن يجالس أناسًا يكثرون الحديث حول النساء حديثًا غير أخلاقي، أو أن الطفل يكثر من المشاهد المثيرة التي تحرك الغرائز، فإنّ هذا سيعجل بفطنته تجاه النساء.

ولولا هذه المؤثرات لكان غافلًا لا يهتم بالنساء، ومما لا شك فيه أنّ المسلسلات والأفلام والمقاطع المخلة بالآداب والغير أخلاقية تؤدي لسرعة اطلاع الصبيان على عورات النساء، لذلك ينبغي الحرص والحذر من الآباء والمهتمين بالتربية لصيانة الأجيال من الانحراف السلوكي.ص ٢٥٣٤.

وليكون الطرح أكثر واقعيةً فلننظر إلى الحادثة التي نقلتها التلمساني والقرني (١٤٣٥)، والتي تحكيها إحدى مدرسات المدارس الأهلية عن سبب إلغاء الصف الثالث الابتدائي عن عمليات الاختلاط، فتذكر أنّ السبب الرئيسي في ذلك هو ما رأته إدارة المدرسة والمعلمات من وعي الأطفال في هذه المرحلة، واستيعابهم وفهمهم لما يدور حولهم، فالكلمات التي يقولونها والهمسات التي يتناقلونها تجعلك توقن بأنّ الطفل يدرك عا لم المرأة.

بالإضافة إلى التمرد من هؤلاء الصبيان على المعلمة كونها امرأةً، واحتياج الصبيان في هذا السن

إلى أوقاتٍ كبيرةٍ من اللعب والتسلية والحركة لتفريغ الطاقات، بخلاف الفتيات واللاتي يحتجن إلى وقتٍ أقل.

لذلك رأت إدارة المدرسة أنّ من المناسب أن يتولى العملية التعليمية في هذ الصف (الصف الثالث الابتدائي) معلمٌ رجلٌ، وليست المعلمة المرأة، لأنّه هو الأقدر على ضبط الفصل، بل إنّ الطفل يستمع لنصائح والده أكثر من والدته، ولقد قررت إدارة المدرسة إلغاء الصف الثالث الابتدائي من عملية الاختلاط بعد دراسة الإيجابيات والسلبيات لهذا القرار . ص ٢٥٣٩.

ولقد أمر الله المرأة المسلمة ألا تبدي زينتها للرجال عمومًا إلا لأصناف محدودة وذكر منهم ربنا سبحانه: ﴿ **أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء** ﴾ (النور: ٥٨). أي أنّها لا بأس أن تبدي المرأة زينتها إذا كان الأطفال لا يميزون.

يقول قطب (١٤٢٨): "ويستثنى الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، وهم الأطفال الذين لا يثير جسم المرأة فيهم الشعور بالجنس، فإذا ميزوا وثار منهم هذا الشعور، ولو كان دون البلوغ فهم غير داخلين في هذا الاستثناء" ص ٢٥١٤/ ٤.

بل يوجد في عهد نبينا ﷺ حادثةٌ تؤيد ما ذهب إليه المفكرون الذين طرحوا قضية النضج المبكر للأطفال، ووجوب الاعتداد به، واحتراز اختلاط المرأة بهذا الطفل، ولو لم يبلغ، وهي قضية ذلك العبد الذي كان يدخل على أمهاتنا زوجات النبي ﷺ، وقد كان مخنثًا والحادثة رواها البخاري ومسلم في صحيحهما وذكرت بطرق أخرى في كتب السنن.

روى البخاري(١٤١٩- ٤٩٣٧)عن أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان عندها في البيت مخنث فقال المخنث لأخي أم سلمة عبدالله بن أبي أمية إن فتح الله لكم الطائف غدًا أدلك على ابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال النبي ﷺ: «**لا يدخلن هذا عليكم**»ص ٧٠٦

ولو تأملنا في الحديث وكيف هي سرعة أمر النبي ﷺ تجاه هذا الكلام، مع أنّ هذا الغلام كان خادمًا يخدم أم سلمة رضي الله عنها ويخدم أمهات المؤمنين، كما ورد في روايات أخرى، ومع ذلك لم يؤخر النبي ﷺ قرار إخراجه من الدار وعدم دخوله على النساء مرة أخرى، مع أن هذا مخنثٌ لكنه بمجرد ما أصبح حديثه يدل على النضج والوعي والإدراك لما حوله من أمور المرأة وجمالها وما يحسن منها وما لا يحسن، أمر بألا يخالط النساء.

بل في رواية أخرى أصرح في الباب يدل على أنّ الحديث يدل دلالةً واضحةً أنّه يجري الحكم –وهو إخراج هذا المخنث– ومنعه من الدخول إلى ديار أمهات المؤمنين على الطفل الصغير، وهذا أن هذا المخنث كان يعد من غير أولي الإربة.

والحديث عند أبي داود (١٤٢٠– ١٤٠٧) «عن عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها تقول: كان يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث فكانوا يعدونه من غير أولي الإربة فدخل علينا النبي ﷺ يوما –وهو عند بعض نسائه– وهو ينعت امرأة فقال: إنها إذا أقبلت بأربع وإذا أدبرت ، أدبرت بثمان، فقال النبي ﷺ: (**ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا، لا يدخلن عليكم هذا، فاحجبوه**)» صححه الألباني (ص ٥٢١).

والمقصود بوصفه «تقبل بأربع وتدبر بثمان» يقصد وصفها بالسمن وأنها ممتلئة البدن، يقول الحافظ الشوكاني (١٤١٣/ ١١) "وتفسير مالك المذكور تبعه منه الجمهور، وحاصله أنّه وصفها مملوء البدن بحيث يكون لبطنها عكن، وذلك لا يكون إلا للسمينة من النساء، وجرت عادة الرجال في الرغبة فيمن تكون بتلك الصفة." ص ١٣٩/ ٦

لذلك عرف النبي ﷺ من هذا الوصف الدقيق فهمه لأحوال النساء ووعيه بمواصفاتهن الجمالية،

فيدل هذا أنّه متى ما رئي من أحد يصف النساء وصفا دقيقًا ويصف المحاسن والجمال، فيدل هذا على أنّ الوعي عنده زاد والنضج أصبح عاليًا، فالأولى أن يحجب عن النساء ولا يدخل عليهن، بل يعامل معاملة أولي الحلم لأن هذا الوعي إن لم يضر الولد مباشرةً فإنه قد يبقي صورًا عالقةً في الذهن.

بل إن العجيب أنهم كانوا يظنون هذا الغلام من أولي الإربة، وبتصرف واحدٍ أخرج من الدار ومنع من الدخول ثانية.

بل ورد في لفظ آخر للبخاري (١٤١٩- ٥٨٨٦) أن النبي ﷺ قال: «أخرجوهم من بيوتكم» فأخرج النبي ﷺ فلانًا وأخرج عمر فلانًا.

لذلك ترى التلمساني والقرني (١٤٣٤) أنّ الأصل في دخول الأطفال على المعلمات الجواز، إلا إذا أصبح لدى الطفل وعيًا بالمرأة وجمالها مثله مثل الحديث السابق، فإنه يحجب عنها، وهذا واقع مشاهد في المدراس التي تطبق تعليم المعلمات للذكور في الابتدائية.

فإنّ من يسمع ويقرأ ما يتحدثن به معلمات الابتدائي وما يكتبنه في بعض الدول العربية والمنثور في منتديات الإنترنت، يعرف مدى المعاناة التي تواجهها معلمة الابتدائي من حدة النظر إلى جسدها والكلام السيء، بل حتى وصل الشكوى إلى اللمس المباشر للجسد، وأيضًا التقبيل والمعانقة، والتي تأتي بعض المناسبات والأيام على سبيل الحرارة في التحية.

والناظر لهذه الشكاوى والكتابات ليعلم أنّ ضرر تأنيث تعليم الصبيان له أضرارٌ جسميةٌ ليست فقط على الطفل، بل حتى على المعلمة فإنّها ترى أن هذا الجو غير مريحٍ، والدليل كثرة الشكاوى من المعلمات اللاتي يدرسن الصبيان في المرحلة الابتدائية. (ص ٢٥٣٥)

بل إنّ الحديث السابق يحكي أنّ ظهور سلوكٍ غير أخلاقيٍ من الطفل أو من يماثله في تحرك الغريزة الجنسية واردٌ، بل كان ذلك في عصر النبي ﷺ، وقد كان يشع بالطهر والنزاهة والبعد عن الريب، ومع

ذلك قد وقع فيه مثل ذلك الحدث، حتى لا يصبح المسلم والمسلمة في سذاجةٍ وبساطةٍ في التفكير، ولا يدركون ما حولهم من تغيراتٍ تطرأ، خصوصًا ممن لا يعرف عن مثلهم تغيرٌ أو نضجٌ، فحرى بنا أن نعود لذلك الجيل الأول وننهل منه رؤانا وأفكارنا التربوية، لأنّه أقرب جيلٍ عايش الوحي وخالط النبي ﷺ، ورأى المعنى الصحيح للإسلام وفهم الدين الذي يريده الله، بل ذكر خيرية ذلك الجيل نبينا محمد ﷺ: « **خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**». مسلم (٢٥٣٣)

ولنعود لشرح الحديث السابق لنرى تفسير قول النبي ﷺ: «ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا»، يقول الشوكاني (١٤١٣) «قال القرطبي: هذا يدل أنّهم كانوا يظنون أنّه لا يعرف شيئًا من أحوال النساء، ولا يخطر له ببالٍ، ويشبه أنّ التخنيث فيه خلقةٌ وطبيعةٌ، ولم يُعرف منه إلا ذلك، ولهذا كانوا يعدونه من غير أولي الإربة» ص ١٢٩/ ٧.

ولعل من الأمور المتعارف عليها أنّ الأطفال في الصفوف الأولية لا يعرفون شيئًا من أحوال النساء، ولا يخطر على عقولهم التفكير في تلك الأمور، ولكنه قد نرى من يخالف هذه القاعدة بل أصبحت هذه المخالفة متكررةً وليست شاذةً، كما أورد الباحث في الفصل السابق من سرعة بلوغ الأطفال في السنوات المتأخرة نقلًا عن مختصين.

فالأولى أن يعاملوا كما عومل ذلك الغلام في عهد نبينا ﷺ، والقاعدة عند مفكري التربية الإسلامية وفقهاء الشريعة دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح، فلو رأينا في إقرار تعليم المعلمات للأطفال مصالح ومعها شيء من المفاسد، فيرجع للقاعدة: دفع المفاسد مقدمٌ على جلب المصالح.

ولو أردنا أن نطرح فكرة تعليم المعلمات للذكور في الصفوف الأولية، فجميل أن ننظر إلى الدول التي سبقتنا في هذه الفكرة، ونرى ما في الفكرة من إيجابياتٍ وسلبياتٍ، ومدى إمكانية نقل التجربة إلى بلادنا وبيئتنا، فليست كل فكرةٍ تنجح في بلدٍ يعني أنها ستنجح في بلادنا أو أي بلاد آخر.

فكل مجتمعٍ له خصائصه وطبيعته الاجتماعية والبيئية التي تميزه عن المجتمع الآخر، وهذه النقطة لابد من الالتفات لها إذ أن استنساخ الأفكار أو إن صحت التسمية إعادة استنبات الأفكار في المجتمعات لابد فيه من أمورٍ مصاحبه، على رأسها دراسة المجتمع وفئاته، وما هي المنطلقات التي ينطلق منها المجتمع، والثقافة التي تؤثر في المجتمع، فكما يعلم الجميع أنّ المجتمع الحضري يختلف كليًا عن المجتمع القروي في التمسك بالعادات والتقاليد، والاحتفاء بها واعتبارها المرجع الأول عند المجتمع القروي، بخلاف المجتمع الحضري قد تجد هذه النقطة متأخرةً قليلا عند أولويات المجتمع الحضري.

وأيضًا لو تأملنا المجتمع المتدين يختلف عن المجتمع المتحرر أو اللاديني، فالمجتمع المتدين يوثر فيه الدين تأثيرًا كبيرًا، وما يلقيه أهل العلم والديانة في ذلك المجتمع يعتبر عندهم مسلماتٍ وقواعد ينبغي أن تكون القاعدة التي ينطلق منها الجميع، ومن خرج عن هذه القاعدة يعتبر نشازًا أو شاذًا.

ولا شك أنّ مجتمعنا ينطلق من قواعد الشريعة ويعتبر الإسلام وشرع الله هو الحكم عند الخلاف أو الاختلاف، وخصوصًا إذا أحيل الأمر إلى العلماء المعروفين بصدقهم وتقواهم، وممن تقبله مجتمعنا، وقبل بآرائه وأفكاره وفتاويه الشيخ محمد العثيمين رحمه الله، ولقد كانت له آرائه التربوية والتي أخرج منها جيلًا من الطلبة الذين جمعوا بين العلم والوعي التربوي، ولقد سئل ابن عثيمين (١٤٢٠) عن الأطفال الصغار ودخولهم على النساء، فوضح رحمه الله أنّ الطفل إذا لوحظ عليه أنّه يحرص على ملامسة المرأة، أو يطيل الملاحظة للمرأة ونحو ذلك، أو أنّه يميل للمرأة الجميلة الحسناء دون الأخرى، كل هذا دلائل وأماراتٍ أنّه يطلق عليه أنّه يظهر على عورات النساء.

وذكر أنّه هذا غالبًا لا يكون إلا من السنة العاشرة فما فوق، أما ما دون ذلك فالأصل أنّهم لا يظهر عليهم إلا إذا كان الطفل يخالط ويعيش في وسط بيئةٍ يكثرون من الحديث عن النساء وعن الشهوةوالغرائز الجنسية،فمثل هذا الصغير ربما له اطلاعٌ على عورات النساء قبل العاشرة(ص ١٤٨).

ومن المفكرين المعروفين في بلاد المغرب العربي محمد بن الحسين الحجوي، وقد نقل عنه القحطاني (١٤٣٠) «يكون تعليم البنات على يد نسوةٍ معلماتٍ فاضلاتٍ، ماهراتٍ في التعليم، حسنة السلوك مؤتمناتٍ، وفي مجالات مخصوصةٍ بالبنات، لا مختلطاتٍ بالأولاد» ص ١٠٣.

وذكرت التلمساني والقرني (١٤٣١) أنّ ابن بطال شارح صحيح البخاري قرر مسألة عدم دخول الصبيان على النساء من القرن الخامس بالتصريح، حيث قال بأنّه لا ينبغي أن يدخل على النساء من يفطن لمحاسنهن ويحسن وصفهن. (ص ٢٥٤٥)

ومن الأمور التي تدل على أن الطفل بدأ يظهر على عورات النساء:

١: متابعة المرأة أمام الغير.

٢: تمييز المرأة الجميلة من القبيحة.

٣: المقارنة بين النساء في أشكالهن.

٤: إطالة النظر إلى النساء والتحديق فيهن.

وغيرها من العلامات التي تدل على النضج والوعي لدى الطفل، بل تستطيع أن تعرف ذلك أيضًا من حديثه إذا جاء الكلام عن النساء تجد العبارات التي تبين مستوى الوعي لديه، كما في قصة ذلك الغلام مع النبي ﷺ وأزواجه.

ولننتقل إلى أحد المفكرين المعاصرين ليكون شاهدًا على العصر وحاضرًا للواقعة نفسها، وهي إدخال المعلمات لتدريس الذكور في الصفوف الأولية، ويحكي تجربةً هو نفسه خاضها في صغره وعمره ست سنين، وكيف تعامله مع النساء والنظر إليهن، وقد دون تجارب حياته في كتابه الماتع(الذكريات) ، حيث يذكر الطنطاوي (٢٠٠٧) كيف أنّ وزارة التعليم سلمت الصفوف الأولية لمعلماتٍ، وتم تنحية المعلمين، ثم عقَّب بأنّه لا يرى تحريم أن تعلم المرأة الأطفال دون العاشرة لذاته، ولكن قد يرى التحريم

بما يؤول إليه هذا القرار من وقوع المحرم في مقتبل الأيام، وذكر قاعدة سد الذرائع ومكانتها عند علماء الشريعة.

وبدأ بعد ذلك يوضح أن نظر الصغير لن يكون مثل نظر الكبير يقينًا، خصوصًا في النظر لجمال المرأة وحسنها وزينتها، لكن هذه المواقف وتلك الصور ستبقى مخزنةً في ذاكرة الطفل سنواتٍ طويلةٍ قد تصل لعشرين سنةٍ.

ثم يقول: «أنا أذكر نساءًا عرفتهن وأنا ابن ست سنين قبل أكثر من سبعين سنة، وأستطيع تصور ملامح وجوههن وتكون أجسادهن» ص ٣٥٢/ ٥

ويزعم الهادي (١٤٣٥) أنّ من الأمور التي قررها علماء النفس والتربية المسلمون وغيرهم، أنّ النضج الذي يفرق فيه الطفل انتمائه لجنس الذكر أو جنس الإناث يبدأ قبل السن السابعة، ثم يكون بعد ذلك بداية تكوين رجولته ودينه وأخلاقه في عمر سبع سنواتٍ، والدليل من السنة على ذلك الحديث الذي يقرر أنّ الأمر بالصلاة عند بلوغ سبع سنين، ونجد أنّ الشارع يولي هذه السن أهميةً واضحةً ص ١٢.

وحكى الهادي (١٤٣٥) أنّه قد ورد للشيخ سليمان العودة الأستاذ المساعد بالعلوم الاجتماعية، والمتخصص في العلوم الشرعية أيضًا سؤالٌ عن تدريس المعلمات للصفوف الأولية، فذكر أنّ الأصل هو جواز تدريسهم لعدم وجود المانع الشرعي من ذلك.

ثم ذكر أنّ اشتغال المعلمات بتعليم البنات أولى، وأن يشتغل المعلمون بتعليم الأولاد أولى وأسلم.

ثم تعرض للآثار السلبية من جهة الأخلاق والتقليد والمحاكاة، وذكر أن المنع أولى سدًا للذريعة، إذ جرت عادة مثل هذه الأطروحات والأفكار أنّه لا يلزم بالضوابط التي تفرض.

وتطرق للانفتاح الإعلامي وطابع الثقافة الجنسية المنفتحة في هذه الوسائل، وفساد بعض المعلمات

ومن تسول لها نفسها الخوض في ما لا يليق. ص ٢٥

وننتقل إلى الركيزة الثانية في حديثا حول موضوع تعليم المعلمات للذكور في الصفوف الأولية، وهي التي ذكرها المفكر والتربوي القدير علي الطنطاوي (٢٠٠٧) حيث يقول « من تشرف على تربيته النساء يلازمه أثر هذه التربية في حياته كلها، يظهر في عاطفته وفي سلوكه، وفي أدبه إذا كان أديبًا» ص ٣٥٢/ ٥.

فالركيزة هي الأثر التربوي على جنس الأطفال الذكوري، وكما هو معلومٌ في نظام التعليم بوزارة التربية والتعليم أنّ معلم الصفوف الأولية يتولى تدريس أكثر المواد في فصلٍ واحدٍ ويسمى (معلم الصف)، فيدخل على طلابه بمعدل ٤ إلى ٥ حصصٍ في اليوم، وكذلك المعلمات.

وهذا يعني أنّ الطفل يخالط معلمه ربع اليوم تقريبًا، فماذا سيكون التأثير إذا أمضى الطفل هذه المدة مع معلمةٍ أنثى، سينتقل إليه كثيرٌ من الصفات الأنثوية والمناسبة للمرأة كامرأةٍ لكنها لا تليق بالذكر.

بل قد يكون لديه ازدواجيةٌ وتصادمٌ، فالعوامل الوراثية تقرر أنّه ذكرٌ، لكن بيئته المدرسية تجعل النموذج الذي يراه مثاله الأعلى يصادم ذلك، بل حتى عوامل النمو النفسية تقرر أنّ الطفل مولعٌ بتقليد والده ومحاكاته، وسيجد في المدرسة ما يجعله يعيد النظر في ميول التقليد والمحاكاة للرجل الذي جبل عليها وتعد من خصائص مرحلته.

وتزعم التلمساني والقرني (١٤٣٤) أنّ طول معايشة الصبيان للمعلمات تضعف فيهم بعض القيم التي تكون أصليةً، مع نشأة كل طفل، مثل الغيرة، فالغيرة هي بذرةٌ في صدر الطفل، فالواجب على المربين والمحاضن التربوية كالمدراس تعاهد هذه البذرة وتقويتها، وطرح الوسائل التي تسهم في نمو هذه القيم وتقويتها، أما لو كان مخالطًا للنساء فإنّ هذه القيمة ستضعف شيئًا فشيئًا، وقد تتلاشي وتزول، وهذا أثرٌ سلبيٌ لمخالطة الصبيان للمعلمات. ص ٢٥٣٣

فالغيرة من القيم المفطورة في النفوس السوية ولا تزول إلا بمؤثرٍ خارجيٍ، كأكل لحم الخنزير، ولهذا نهت الشريعة عن أكله، لأنّه يؤثر في خلقٍ سامٍ ويزيله، فترى المجتمع الغربي والذي يكثر من أكل لحم الخنزير يكاد أن تزول منه قيمة الغيرة، والسبب لا ينحصر في أكلهم الخنزير، بل أيضًا الانفتاح في التعامل بين الذكور والإناث، وكثرة مخالطة الرجل للمرأة من طفولته حتى كبره بلا ضوابط.

ويشير الهادي (١٤٣٥) إلى أنّه من الأمثلة المشهورة المناسب إيرادها هنا هو: أن كثرة المساس تميت الإحساس، فالطفل إذا أكثر التعامل مع المرأة ومع المعلمة، فإنه بذلك يفقد قيمة من القيم المحمودة، وهي: الخجل من النساء، فإنّ مما يحمد في الصبيان الخجل من المرأة، حتى يشعر برجولته وتميزه عن المرأة، وأيضًا كي يكون بينه وبين مخالطة النساء حاجز الخجل، حتى ولو كبر فالجرأة على مخالطة النساء خصوصًا عند الكبر قد تجر إلى المعاكسات اللاأخلاقية ص ٩.

ولعل الهادي أورد الخجل المحمود والذي يطرح كالمرادف للحياء المحمود، وهي صفةٌ رجوليةٌ أصيلةٌ، وخير من اتصف بها نبينا ﷺ، فكان عليه الصلاة والسلام أشد حياءً من العذراء في خدرها، والحياء لا يأتي إلا بخيرٍ، فالبعض يرى أنّ الحياء للنساء فقط، وهذا فهمٌ مغلوطٌ، فإنّ لم نتأس بالنبي ﷺ في أخلاقنا فبمن نقتدي.

وتدعونا التلمساني والقرني (١٤٣٤) إلى مراجعة تاريخنا الإسلامي، وإلقاء نظرةٍ على ما كان مطبقًا في أجيال الأمة الإسلامية، لنرى أنّ الذكور يعلمون الذكور والإناث يعلمهن الإناث مثلهم، وهذا عبر قرونٍ طويلةٍ في تاريخ تعليم أمتنا المسلمة.

وقد نتج عن محاضن التربية والتعليم تلك علماءٌ أفذاذٌ ومبدعين وقادةٌ، وإنّ موضوع تعليم المعلمات للذكور يخالف عاداتنا وتقاليدنا في مجتمعنا المحافظ ولله الحمد، يل قد يكون هذا الأمر يشكل نشازًا في بيئة التعليم المحافظة. ص ٢٥٣٦.

من خلال ما تم عرضه من الآراء والنقولات، يزعم الباحث أنّ تعليم المعلمات للذكور في الصفوف الأولية من الأمور التي كرهها وحذر منها مفكرو التربية الإسلامية بل يكاد أن ينعقد الاجماع على هذه الكراهة، ولو تأملنا النصوص والقصص التي وردت في عهد النبوة وكيف تعامل معها النبي ﷺ وهي محل اقتداء عندنا معاشر المسلمين، وعقدنا مقارناتٍ بينها وبين الواقع الحالي لرأينا كثيرًا من التشابه والتطابق، الذي يستطيع أن نخرج من خلاله بآراءٍ واضحة المعالم، وما تحث عليه التربية الإسلامية ويدعوا له الشرع الحنيف هو الاستفادة من الحضارات الأخرى بما لا يتعارض مع قيمنا وثوابتنا.

المبحث الثاني: الأبحاث والتجارب التي تعارض تولي المرأة تعليم الذكور بالصفوف الأولية.

من نعم الله على البشرية هذا التقدم الحضاري الذي نعيشه، والذي يزداد كل يومٍ جودة وتميزًا، وذلك على جميع المجالات، ومن مميزات هذا التقدم أنّ من دعائمه البحث العلمي القائم على تجربة واستطلاع الرأي، وغيرها من الأدوات التي تجرى على عينات من الناس، تخرج في الغالب نسبةً عاليةً من النتائج الصائبة، واحتمال الخطأ واردٌ لكنه أقل بكثيرٍ من أن يكون الحكم مبنيًا على رأي فردٍ أو تجربة أشخاصٍ محدودين، لذلك أحب الباحث أن يدون بعض التجارب ونتائج الأبحاث التي خلصت إلى معارضة تعليم المعلمات للذكور بالصفوف الأولية.

سواءٌ كانت أبحاثًا من بلادنا أو من مراكز الأبحاث الغربية، ومن المعلوم أنّ هناك خصائص يشترك فيها جميع البشر، وهناك بعض الخصائص التي تؤثر فيها البيئة التي ينشأ فيها الإنسان، وما أورده الباحث إما تجارب من ميدان التعليم في المملكة العربية السعودية، أو تجارب غربيةٍ في مراكز أبحاث على شرائح كبيرةٍ من الأطفال.

فمن الدراسات المهمة: دراسة ليونارد ساكس، فقد أشارت التلمساني والقرني (١٤٣٤) إلى هذه الدراسة، وسيكون حديثنا مع الدكتور ليونارد ساكس، والذي استطاع أن يجمع مؤهلاتٍ وخبراتٍ وشهاداتٍ تجعله من أوائل من يتكلم في مجال تعليم المعلمات للأطفال الذكور، فهو خبيرٌ في علم النفس ومدير منظمة (NASSPE)وهي الجمعية الوطنية للتعليم الأهلي غير المختلط بأمريكا،بل هو من أنشأ هذه الجمعية، بالإضافة إلى كونه طبيب أسرةٍ، وهو عالمٌ في الأحياء، وملاحظته حول الأطفال الذكور الذين يتعلمون لدى معلماتٍ قيمةٍ جدًا، حيث يذكر أنّه بدأ يلاحظ أنّ أعدادًا من طلاب الصف الثاني الابتدائي يتوافدون على عيادته بشكلٍ ملفتٍ، ومع كل واحدٍ من الأطفال ورقةٌ من

مدرسته، ومدونٌ فيها طلبٌ بأن يتم فحص الطفل من مرض اضطراب العجز عن التركيز، والتأكد من عدم إصابته به.

واكتشف الدكتور أنّ هناك حالاتٍ من الأطفال ليست بحاجةٍ إلى علاجٍ لمرض اضطراب العجز عن التركيز، وبعد أن تم التقصي والبحث في الحالات، تبين للدكتور أنّ المعلمة تتلكم بنبرةٍ مناسبةٍ لها كأنثى، وهو مناسب لشد انتباه الفتيات بنات جنسها، بينما أغلب الأولاد لم تستطيع المعلمة أن تشد انتباههم، فترى المعلمة أولئك الطلاب ينظرون إلى النافذة، وهي تشرح الدرس ولا ينتبهون لشرحها.

وأحيانًا يراقبون ذبابةً أو أي حشرةٍ تسير في السقف، فتلاحظ المعلمة أنّ هؤلاء الطلاب غير مركزين في الدرس، ومع تكرار هذه المواقف أصبح الشك يساور المعلمة أنّ هؤلاء الأطفال مصابون باضطراب العجز عن التركيز، وفي حقيقته الأمر أنّها مصيبة في ظنها أنّهم لا يستطيعون التركيز ولديهم عجز في ذلك، لكن السبب ليس مرضًا كما تظنه المعلمة، وإنّما السبب في هذا الأشكال هو صوت المعلمة الناعم والهادي.

لذلك هؤلاء الأطفال لا يحتاجون إلى وصفةٍ طبيةٍ ويدون فيها علاج اضطراب العجز عن التركيز، بل هم في حاجةٍ ماسةٍ لمعلم يفهم الفروق العضوية بين الأولاد والبنات، ومدى تأثير ذلك على مستواهم التعليمي. (ص ٢٥٤١).

فما أروع أن نجد في المنظومةالتعليمية تكاملًا في الرقي بالتعليم، والاهتمام بالمخرجات التعليمية من أبنائنا وبناتنا، فالتكامل يعطي نتائج جميلةً.وسيكوّن الفريق المتكامل حلقةً تحاول أن تسد جميع الثغرات.

فهذا الدكتور ساكس لما رأى ظاهرة حضور أطفالٍ من صفٍ دراسيٍ معينٍ –وهو الثاني الابتدائي– وبشكلٍ ملفتٍ، وضع هذه الظاهرة في اهتمامه، وخرج بنتائج وحلولٍ لحل هذه المشكلة عند

أولئك الطلاب، فعندما يصبح الحس التربوي والاهتمام بأهم كيانات المجتمع وهو التعليم سنرى تطويرًا وارتقاءً ملحوظًا.

ويدون لنا الأزرق (١٤٢٩) دراساتٍ، استخدام فيها باحثون مختصون أجهزة اختباراتٍ صوتيةٍ عاليةٍ ونوعيةٍ، لإيجاد الفروق بين الجنسين في استجابة الدماغ السمعية المتفرعة عنها القدرة على السمع، فأثبتوا أنّ هناك فروقًا بين الجنسين، فبنت عمرها سبع سنواتٍ تميز أصواتًا أخفت من الأصوات الضعيفة التي ينتهي إليها تمييز ولدٍ في العمر نفسه.

بل إنّ إحساس الفتيات بالأصوات أفضل من استشعار البنين لها بضعفين، وربما ارتفعت نسبة إدراك المسموعات لدى بعضهن عن بعض البنين لأربعة أضعافٍ.

ولقد تم التوصل لهذه النتائج من قبل المختصين مما يقارب نصف قرنٍ، وأجريت تلك الدراسات في نطاق الترددات المهمة، والتي تميز الكلام بما يقاب أربعة الألاف ترددٍ في الثانية (KHz4) أكدتها دراسات حديثة. (ص ٧٨)

فمن خلال هذه التجارب على مستوى الصوت لدى الفتيات والأولاد، ومدى التمايز بينهما والفروق الكبيرة المدونة في الدراسات السابقة، تكون معضدةً لدراسة الدكتور ساكس، والتي أُتهم فيها الطفل بالعجز عن التركيز، ما ذاك إلا لقصور فهم تلك المعلمة في معرفة الاختلافات الدماغية بين الجنسين وآثارها في التعليم.

ومما ينبغي أن يفطن له المهتمون بالتربية والتعليم الدراسات المعاصرة في الفروق بين الجنسين وآثارها على التعليم، فهناك فروقاتٌ في طريقة أسئلة الاختبار لكل جنسٍ، والمواد التي تميز فيها كل جنسٍ، وطرق استثارة كل جنسٍ، وغيرها من الأطروحات والأبحاث الكثيرة التي توضح أن الجو التعليمي الذي ينبغي أن يهيأ للأولاد، يختلف عن الجو المعد للبنات، وينطبق هذا حتى على المعلمين والمعلمات،

فكل جنسٍ يتصرف بتلقائيةٍ بالطرق التي يراها أنسب، حسب جنسه ونشأته وصفاته كذكر أو كأنثى، سواءً في درجة الصوت هدوءً وارتفاعًا، أو طريقة التحفيز، فالأولاد أكثر مللًا من البنات ويحتاجون إلى محفزاتٍ أكثر ليبقوا منتبهين.

يقول الأزرق (١٤٢٩): «تقول عالمة النفس جوان ديك (Joan Deak) بعد أن أشارت للدراسات العلمية التي أظهرت علاقة الدماغ بالجنس (الأدمغة النسائية مهيأة للبراعة في اللغة والمهارات السمعية)» ص ٨٠.

وهنا لفتةٌ جميلةٌ أن ينتبه لها وهي أنّ التربية الإسلامية ومفكروها لما حرصوا على الفصل بين الجنسين وأن يتولى كل جنس بني جنسه ليس استنقاصًا لأحدٍ، فلكل واحدٍ منهما سماته التي تميزه عن غيره، وهذا من عظيم خلق الله.

فالبنات كما في النقل السابق وغيره مبدعون في اللغة أكثر من الأولاد، فمن الظلم أن يتلقى البنات والأولاد دروسًا في اللغة في مكانٍ واحدٍ، فإما أن تصعد المعلمة للمستوى الذهني للبنات، أو تنزل للمستوى الذهني للأولاد ، ولو قلنا بأنّ تعليم كل جنسٍ في فصلٍ مستقلٍ، فكيف سيكون تحضير المعلمة للدرس هل تحضره بالمستوى المناسب للبنات، أم المستوى المناسب للأولاد، أو تحضر تحضيرين فنزيد بالأثقال على كاهل المعلمة، والتي تشكوا دائمًا من كثرة الأعباء والمهام عليها.

ويذكر الأزرق (١٤٢٩) أنّ من مواطن الاختلافات بين الجنسين التي يقل التفطن إليها، ولها تأثيرٌ في العملية التعليمية أن قوقع الأذن أو صماخها يختلف بين الأولاد والبنات، فلدى البنات قوقع الأذن أقصر وأيبس من الأولاد، لذلك تجدهن أكثر حساسيةً للأصوات.

ولقد أشار فريقٌ فرنسيٌ أنّ خلايا شعر الأذن عند البنات أيبس منها لدى الأولاد، لذا تجد أنّ السمع لدى البنات أكثر حساسيةً من الأولاد، وقد أفاد هذه النتائج أكثر من بحثٍ ص ١٠٢.

ومن باب الثناء على من هو أهلٌ له، فمن المقررات التي ضمنت في الإعداد التربوي للطالب الجامعي لتأهيل المعلمين والمعلمات: مقرر علم نفس النمو، والذي يدرس فيه خصائص النمو لكل مرحلةٍ من مراحل التعليم بشكلٍ عامٍ، وهذا المقرر يساعد كثيرًا في أن يتفطن المعلم لخصائص مرحلة الطالب الذي أمامه، ويعرف الفروق بين الذكر والأنثى في نفس المرحلة، ليتم طرح المادة العلمية بالطريقة المناسبة لتلك المرحلة ولذلك الجنس.

ولقد ذكر علماء النفس التأثير الواضح في النمو الاجتماعي على الطالب بجنس المعلم وغيرها من المؤثرات، يقول زهران (٢٠٠٥): «يتأثر النمو الاجتماعي بعمر المعلم وجنسه، وحالته الاجتماعية وشخصيته» ص ٢٦٧.

والعناية بالنمو الاجتماعي مما ينبغي الالتفات إليه، فترابط أواصر المجتمع بالصورة الصحيحة، يؤدي إلى مجتمعٍ سليمٍ خالٍ من الآفات المؤثرة سلبًا على تماسك المجتمع، ولو على المدى البعيد.

فمتى ما أهمل النمو الاجتماعي وتنميته للطفل، ولّد عندنا ضعفًا في ترابط المجتمع كنتيجةٍ طبيعيةٍ لهذا الخلل.

وتنقل لنا التلمساني والقرني (١٤٣٤) من الميدان التعليمي للاستفادة من التجارب في الواقع التعليمي تجربة عبدالله القزرعي وهو باحثٌ تربويٌ اجتماعيٌ، ولقد قام بتجربته في عام ١٤٢١هـ على إحدى أكبر وأكفأ المدارس الأهلية في مدينة الرياض، والتي قد بدأت في تنفيذ أن يضم الأولاد في الصفوف الأولية لمدارس البنات ويدرسهم معلمات.

حيث بدأت بتطبيق القرار على الصفين الأول والثاني، وكان اختيار المعلمات في تلك المدرسة على مستوى نخبويٍ من المعلمات المدربات، والحاصلات على تأهيلٍ عالٍ، ومن بينهن من تحمل درجة الماجستير.

وهذه المعطيات تدل على أنّ التجربة في تعليم المعلمات للذكور قامت على درجةٍ عاليةٍ من الاستعداد والترتيب، لكن المؤشرات للتجربة كانت سلبيةً وفق تقرير المدرسة نفسها.

وقد قررت المدرسة إعادة الطلاب الأولاد لمدرسة البنين، مع أنّ المدرسة بذلت ما تستطيع من وسائل لتكون بدايةً ناجحةً للفكرة، ولكنها فشلت وكان من أهم مسببات فشل التجربة كما يقرره عبدالله القزرعي هو عدم تقبل الأطفال الذكور لسلطة المعلمة، وتمردهم على أوامرها، وكثره المشاكسات والحركة، ما أدى إلى ضعف تحصيلهم الدراسي. ص ٢٥٦٣

فالأطفال الذكور لهم خصائص -خصوصًا الصغار منهم- يحبون الحركة وكثرة اللعب، وتجدهم يحبون المشاكسات مع بعضهم البعض، وتصل إلى الضرب فيما بينهم، وهذا ما لا تستطيع المعلمة أن تستوعبه لطبيعتها الأنثوية، وعدم احتمالها لكثرة الحركة.

بل إنّ الأطفال الذكور تجدهم لا يرجعون إلى المعلم، بل تجد بينه وبين معلمه الهيبة أحيانًا وعدم المبالاة في أحايين أخرى، ولا يرجع للمعلم إلا في حالات الاضطرار، وهذا يناسب المعلمين الذكور، بينما الطالبات تجدهن متعلقاتٍ بالمعلمات في كل أمورهن، وترجع لها في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ من أمورها التعليمية وحتى الخاصة، وهذا يناسب المعلمات فإذا تعرضت المعلمة لتعليم الذكور ورأت منهم هذا الإعراض بل وكثرة المشاكسات، فإنّها تشعر بالإحباط في رسالتها.

ولو أردنا أن ننظر من واقع التربية الأسرية للاستشهاد والمقارنة، فالأم لا تستطيع أن تضبط الأولاد في الغالب بينما تستطيع أن تتعامل مع البنات، فإذا جاء الوالد أصبح الأولاد في غاية الانضباط والهدوء، ولا يلزم أن يكون الوالد يضرب أو يعاقب، بل للوالد هيبته التي تجعل الطفل يقدرها ويحترمها.

ويشير السكران (١٤٣١) إلى تجربة من التجارب التي ينبغي الاستفادة منها في موضوع تعليم المعلمات للذكور، وهي التجربة البريطانية في الأبحاث التي تدرس (آثار غياب المعلم الرجل على

شخصية الطالب في الصفوف الدنيا في بريطانيا).

فقد كان توجه الحكومة البريطانية مع زيادة أعداد المعلمات وتقليص أعداد المعلمين، وكان هذا التوجه متوافقًا مع شدة الضغوط الحركات النسوية، ابتداءً من الستينات الميلادية، واستمر لعقودٍ بل إنّ مرحلة الستينات كانت المفصل الزمني كما يراه مؤرخون غربيون في أكثر التغيرات في المجتمع الغربي، خصوصًا ما يخص المرأة وعملها ولباسها.

وفي السنوات المتأخرة ظهر عدة باحثين وعلماء يدرسون ظاهرة غياب المعلم الرجل على شخصية الطالب في الصفوف الأولية في المدارس البريطانية.

ذكر الباحثون مدى حاجة الطالب الذكر إلى المعلم، وكانت هذه الأبحاث مثار جدلٍ واسعٍ، إذ أظهرت خطر هذه الظاهرة ومدى تأثيرها على بناء الثقة لدى الطالب، حتى تستطيع البيئة التعليمية أن تزرع الثقة لدى الطالب بتقديم القدوة المناسبة لجنس الطالب الذكر ومكوناته النفسية.

وتشير الأبحاث لأهمية مفهوم ثقافة الرجل، ومدى الأثر السلبي لهذه الثقافة في الأجواء التي يمارس فيها التعليم امرأة. ص٢.

ومن المفارقات حول الموضوع يذكر الهادي (١٤٣٥) أنّ وزير التعليم الفلبيني أعلن عن رغبة في تعيين أكبر عددٍ من المدرسين الذكور لتدريس التلاميذ الذكور، ليتحلوا بصفات الرجولة، بدلًا من صفات الأنوثة التي يكتسبونها من مدرساتهم. ص١٢

وتؤكد التلمساني والقرني (١٤٣٤) أنّ وكالة التطوير والتدريب للمدراس (TDA) –هي المؤسسة الرسمية البريطانية المعنية بتطوير التعليم– اتخذت قرارًا يقضي بزيادة أعداد المدرسين الذكور في الصفوف الدنيا، وتقول الوكالة أنّ السبب هو استنقاذ التكوين التربوي للصبيان، وهم بذلك يردون الدعاوى المنادية بتولي المعلمات لتدريس الصبيان، فهم قد جربوا ذلك ولديهم مراكز أبحاثٍ لدراسة الأحوال

والظواهر التربوية، فرأوا أنّ نتائج الأبحاث والدراسات تنادي بذلك.

بل في عام ٢٠٠٩ أطلقت وكالة TDA البريطانية مهرجانات في المدراس لتحفيز وإقناع المعلمين الذكور لتعليم الصفوف الأولية. ص ٢٥٤٢

وعن تكوين العلاقات وفن التواصل لدى الصبيان مع الرجال يقول السكران (١٤٣١) «تنقل الكاتبة المهتمة بشؤون التعليم (ليبست) عن البعض قولهم: إنّ نقص المعلمين الذكور في الصفوف الأولية يعني أنّه لن يكون لديهم تواصل منتظم بالرجال حتى سن الحادية عشر» ص ٢.

إذا كانت دور التربية والتعليم في بريطانيا والفلبين بدأت تطرح خطورة أن يمارس التعليم في الصفوف الأولية معلمةٌ، مع أنّ المجتمع البريطاني والفلبيني منفتحٌ ومختلفٌ كليًا عن مجتمعنا، سواءً من حيث المحافظة والتمسك بالشريعة والدين، أو من حيث القيم والمبادئ التي يؤمن بها المجتمع في الفروقات بين الجنسين، ومدى المسموح به والممنوع في التعامل بين الجنسين، ومع هذا كله يطرحون الرؤى التي تحذر من هذه الفكرة والتطبيق.

فهل يتوقع أن يكون لفكرة تعليم المعلمات للأطفال الذكور النجاح في مجتمعنا، وقد أرود الباحث تجربةً محليةً في الرياض، وتجربة المدارس البريطانية، وكلتاهما أظهرتا نتائج غير إيجابيةٍ لتولي المعلمات تدريس الذكور في الصفوف الأولية، ويضيف الهادي (١٤٣٥) إضافة حول مستوى التحصيل الدراسي، فهو يعطي نتيجةً عكسيةً، حيث تشير بعض الدراسات التربوية المهتمة بالتحصيل الدراسي أنّ الأطفال الذين يتلقون تعليمهم من معلماتٍ والذين يتربون على أيدي مربياتٍ هم الأقل في مستوى التحصيل الدراسي، وتجد مستوى الثقة بالنفس يقل عندهم، فيكثر طلب المساعدة والنجدة، ويوجد لديهم اضطراباتٌ نفسيةٌ، بل إنّهم أقل طموحًا ورجولةً ممن يتعلمون على يدي المعلمين الذكور(ص١٣).

وهذا متوقع، فمن يعايش النساء ويكثر الخلطة بهن أن تجد فيه شيئًا من مواصفات الأنثى، من حيث الرقة، والحاجة إلى سندٍ، فالمرأة مجبولةٌ على العيش بصفاءٍ واستقرارٍ بجوار رجلٍ ترجع إليه وتستند إليه، وكذلك الفتيات الصغيرات يكثرن من الرجوع للمعلمة، وهذا يجعل الولد يرى أنّ الأصل هو الاستعانة بالآخرين في أغلب شؤونه، بينما لو كان يخالط المعلمين لرأى منهم حزم الرجال، والذي يراد منه أن يعتمد الطفل على نفسه ويكتسب الثقة في نفسه، حتى على مستوى الطموح يبقى أن الرجل بحكم طبيعته التي خلقه الله عليها ومكوناته، فلديه المجال أوسع من المرأة، والتي لها قدراتٍ تختلف عن الرجل فهي مهيأةٌ نفسيًا وخلقيًا لأنّ تكون أمًا ومربيةً، فكون المباشر للغرس الأول للطفل هو امرأة فسيرى اختلافًا وتباينًا في سقف الطموحات، كونها تتحدث من واقعها والذي تراه وتستطيعه، فمهما حاولت التصنع في كونها تخاطب الأطفال بلغة توافق جنسهم الذكوري يبقى أن الطبع غلاّبٌ.

ويؤكد ذلك الغضبان (١٤٠٤) أنّ المعلم الرجل هو الأقدر على تربية الطالب، وتهيئته لمسؤوليات المجتمع وهمومه، وفي المقابل المرأة هي الأصلح والأقدر على تربية الفتاة، وإيضاح مهامها ورسالتها في تكوين البيت الصالح والتفرغ له. (ص١١٧)

ولقد وقف الباحث على أبحاثٍ تؤيد تعليم المعلمة للذكور في الصفوف الأولية، ولم يوردها الباحث إذ إنّه خرج من خلال بحثه عن آراء مفكري التربية الإسلامية حول تعليم المعلمات الذكور في الصفوف الأولية، بأنّ المتوجه والمقرر في التربية الإسلامية، و المطبق في تاريخنا الإسلامي هو أن يتولى المعلمون الذكور التعليم للأولاد من الصبا حتى الكهولة، وبناءً على ما تقرر لديه أورد الأبحاث والتجارب المعاصرة، والتي تؤيد ما ذهب إليه.

ولقد أورد الباحث نداءاتٍ ومطالباتٍ من مسؤولين كبارٍ، ومن هيئاتٍ وجمعياتٍ في بلادٍ خاضت غمار الاختلاط بين الجنسين، وتولى المعلمة لتدريس الذكور في الصفوف الأولية وكل المراحل التعليمية،

فكانت تحذيراتهم من تولي المعلمات للصفوف الأولية خصوصًا، وبقية المراحل التعليمية عمومًا لما رأوا من آثارٍ تربويةٍ غير محدودةٍ.

الفصل السادس: الاستخلاصات العامة والتوصيات

يتناول هذا الفصل أبرز الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث، وأهم التوصيات والمقترحات، حيث خلص الباحث في نهاية هذا البحث إلى جملةٍ من الاستنتاجات، كان من أهمها الآتي:

١- وجود فروقاتٍ واضحةٍ في خصائص النمو بين الأولاد والبنات في مرحلة الصفوف الأولية، والتي تسمى عند علماء نفس النمو الطفولة الوسطى، فمستوى الإضاءة، ومستوى النشاط والحركة، وآليات التحفير والنمو اللغوي، وتعلّم الطفل دوره الجنسي، وأمورٌ أخرى متعددةٌ فيها اختلافٌ وتمايز بين الجنسين، لذلك ظهر للباحث أنّ الفروقات لها تأثيرٌ على العملية التعليمية، وفي حال تم خلط الجنسين يعود بالسلب على الجنسين، وفي بعض الجوانب يكون سلبيًا على جنسٍ، وإيجابيًا للجنس الآخر.

٢- أن نشأة الاختلاط بين الجنسين في التعليم لم تكن موجودةً في الأجيال السابقة من الأمة الإسلامية، ولم يكن يطرح ذلك لا تنظيرًا ولا واقعًا الا قليلا، بل كان التنظير والتأصيل من بدايات القرن الثالث الهجري، وكان المنع والكراهة هو الرأي المطروح، مع قلة المتحدثين فيه، إذ إن الفكرة لم تكن مطروحةً للنقاش فضلاً عن أن تطبق في الميادين التعليمية.

٣- نقولات مفكري التربية الإسلامية من المتقدمين والمتأخرين توضح جليًا أنّ الفكرة تعارض المنطلقات الأساسية للتربية الإسلامية، ويرون بعدم خلط الجواري مع الغلمان، وكانوا يعدون الفتاة التي تبلغ تسع سنواتٍ امرأةً ويزوجونها، ولا يخفى أنّ هذا الاجتماع والاختلاط يحصل ولو تم فصل الفصول الدراسية، فيتم الاختلاط في الفسح ووقت الاجتماعات، والأنشطة الجماعية والتقاؤهم في الممرات، ودرء المفاسد مقدمٌ على جلب المصالح ،كما قرره مفكرو الإسلام وعلماؤه.

٤- في المجتمعات الغربية هناك من ينادي بالاختلاط بين الجنسين في التعليم، وفي سائر شؤون الحياة، خصوصًا من الجمعيات النسوية وأضرابها، وفي المقابل هناك من يعارض الفكرة، بل وأقيمت جمعيات تنادي بالفصل بين الجنسين، وأصبح الطلب على المدارس غير المختلطة في تزايدٍ ملحوظٍ، لما رأوا من جودةٍ في النتائج والتميز لدى الأبناء والبنات.

٥- أن تولي المعلمات تدريس الذكور في الصفوف الأولية يبدو فيه التعارض مع نصوصٍ شرعيةٍ، وما دونه مفكرو التربية الإسلامية من آراءٍ وأقوالٍ، بل إن ذلك قد ينتج منه آثارًا تربويةً غير جيدةٍ، وتؤثر سلبًا على العملية التربوية لهذا الطفل، وتخرج طفلاً يعاني من ضعفٍ في بعض القيم التربوية، كالغيرة والخجل وغيرها من القيم التي يبقى أثرها في شخصية الطفل حتى يكبر، ولم يرد في تاريخنا التربوي وتراثنا الإسلامي تولي المعلمة لتعليم الصبيان، بل ورد ما ينهى عنه ويحذر منه.

٦- بدأ التراجع عن تولي المعلمات تدريس الصفوف الأولية في دولٍ سارت في تطبيق هذه الفكرة عقودًا، ثم تركتها بقناعاتها التربوية، وما رأته من ثمار هذه التجربة، وأصبح التعيين للذكور لتولي تعليم الأولاد هو المنادى به لدى النخبة التربوية في تلك الدول، وما نتج ذلك إلا بعد إجراء دراساتٍ ميدانيةٍ وأبحاثٍ نظريةٍ أثبتت أن الذكور أولى وأفضل من يتولى تعليمهم هم المعلمون الذكور.

التوصيات:

في نهاية هذا البحث، وبناءً على ما توصل إليها الباحث من نتائج حول الاختلاط بين الجنسين في التعليم بالصفوف الأولية، وتولي المعلمة لتدريسهم، فإنّ الباحث يوصي بما يلي:

١- أن تنشأ وزارة التربية والتعليم قسمًا خاصًا بدراسة الأفكار والمقترحات المطروحة لتطوير الميدان التربوي والتعليمي، بالتعاون مع الجامعات السعودية، وعقد شراكاتٍ في هذا الصدد لتكوين تكاملٍ تربويٍ بين الدراسات والأبحاث في الجامعات وأقسام الدراسات العليا، وبين وزارة التربية والتعليم ومدارسها ومحاضنها التربوية، وأن تكون نتائج الأبحاث ملزمةً لأصحاب القرار في مجال تطوير التعليم.

٢- هناك حاجةٌ لتطوير المعلمين والمعلمات في مجال علم نفس النمو، وإدراك خصائص المرحلة التي يتعاملون معها، فبإدراك هذه الخصائص يستطيعون أن يدركوا احتياجات الطالب والطالبة، والنقاط التي بإمكانهم استغلالها في تحسين العملية التعليمية، وتقصير المسافات بين الطالب والمعلم إذا فهم المعلم ما يرغبه وما لا يرغبه الطالب.

ويكون هذا التطوير بإقامة الدورات والمحاضرات والندوات، وتوزيع النشرات والمجلات، والتي يشارك فيها المختصين من أكاديمين ومدربين، ويكون لهذا التطوير مقابلٌ معنويٌ أو ماديٌ، يحفز به المعلمون للالتحاق بهذه البرامج.

٣- الانطلاق في رؤانا التربوية والتعليمية ومقترحاتنا للتطوير من آراء مفكري التربية الإسلامية، والعناية بتأملها والرجوع إليها، ففيها الغزارة في العلم، وبعد النظر، فلقد سادت التربية الإسلامية أكثر من عشرة قرون، وكانت تمد العالم بكل ما هو جديد.

٤- إقامة المؤتمرات والملتقيات العلمية من قبل وزارة التربية والتعليم، والمهتمين بالجوانب التربوية من الأكاديمين والمختصين، لمناقشة واقع التعليم في السعودية، وطرح الأفكار والرؤى للتطوير والمدعمة بآراء

كبار المفكرين في مجال التربية الإسلامية، وكذلك الاستفادة من الدراسات والأبحاث الميدانية المميزة والاستفادة منها في هذا المجال.

٥- يمكن للدولة ممثلةً بوزارة الثقافة والإعلام أن تساهم في نشر الوعي التربوي، من خلال إنشاء قنواتٍ تلفزيونيةٍ إيجابيةٍ جذابةٍ، تقدم برامج هادفةٍ، تطرح الآراء التربوية والرؤى الجديدة، وتناقشها من قبل أهل الاختصاص من التربويين والباحثين، حتى لا يتكلم في المجال التربوي من ليس له اختصاصٌ.

٦- ضرورة العناية بالتراث الإسلامي لمفكري التربية الإسلامية، وإخراجه للباحثين ونشره في مجلاتٍ ودورياتٍ، تُترجم لعدةٍ لغات؛ لتصبح مراجع ثريةً لمن أراد التعرّف على أصول وأفكار التربية الإسلامية.

المقترحات:

أما عن مقترحات الباحث حيال إجراء أبحاثٍ مستقبليةٍ مرتبطةٍ بموضوع هذا البحث فيرى ما يلي:

١- بحث ميدانيٍ لتقويم تجربة الاختلاط بين الجنسين في الصفوف الأولية بالمدارس الأهلية، فالتجربة الآن تم لها خمس سنواتٍ، ويحسن بالمهتمين بتطوير التربية والتعليم إجراء هذه الدراسة التقويمية.

٢- بحث يستعرض الدراسات والأبحاث التربوية الحديثة حول تولي المعلمات تدريس الذكور في الصفوف الأولية، والمقامة في مراكز الأبحاث والجامعات في أنحاء العالم.

٣- بحث حول (خصائص النمو لمرحلة الصفوف الأولية)، ويكون من اختصاص قسم علم النفس. فلقد رأى الباحث قلة المصادر التي يستطيع أن يجد فيها بغيته، فجل المصادر مكررةً من حيث المعلومات ولا جديد يذكر إلا الشيء اليسير.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

قائمة المراجع

١. آبادي، أبو الطيب محمد (١٣٨٨هـ). *عون المعبود شرح سنن أبي داود* ، المدينة المنورة: المكتبة السلفية ،ط ٢ .

٢. ابن كثير، إسماعيل(١٤٢٠هـ). *تفسير القرآن العظيم* ، الرياض: دار طيبة،ط ٢.

٣. ابن منظور ، محمد بن مكرم (د . ت) . *لسان العرب* ، بيروت : دار صادر .

٤. أبو زيد، بكر بن عبدالله (١٤٢١هـ). *حراسة الفضيلة* ، الرياض : دار العاصمة ، ط ٤.

٥. أبو زيد، بكر بن عبدالله (١٤٢٧هـ). *المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها* ، القاهرة : دار ألفا.

٦. أبي داود ، سليمان (١٤٢٠) . *سنن أبي داود* ، الرياض :دار السلام للنشر والتوزيع .

٧. الأزرق، إبراهيم بن عبدالله (١٤٢٩هـ). *الاختلاط في التعليم النشأة والاثار* ، الرياض: مركز باحثات.

٨. الأشول، عادل عز الدين (١٩٨٢م). *علم النفس النمو* ، القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية.

٩. الامام ، أبي نصر محمد بن عبدالله (١٤٣٠هـ). *الاختلاط أصل الشر في دمار الامم والاسر* ، صنعاء :دار الاثار.

١٠. باحارث، عدنان حسن (١٤٢٣هـ). *مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة*، جدة: دار المجتمع.

١١. باحارث، عدنان حسن (١٤٣٣هـ ، أ). *مواقف الاختلاط بين الجنسين ودورها في اثارة الغريزة الجنسية في صدر التربية الاسلامية* ، مكة المكرمة: دار احياء التراث .

١٢. باحارث ، عدنان حسن (١٤٣٣هـ ، ب) . *أبحاث في تعليم الفتاة المسلمة في ضوء التربية الإسلامية*، دار الصميعي : المملكة العربية السعودية .

١٣. البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤١٩هـ). *الجامع المسند الصحيح* ، الرياض :بيت الأفكار الدولية.

١٤. البداح ، عبدالعزيز بن أحمد (١٤٣١هـ). *حركة التغريب في السعودية* ، القاهرة: المركز العربي للدراسات الانسانية .

١٥. البداح، عبدالعزيز بن أحمد (١٤٢٩هـ). *المدارس الاجنبية في الخليج واقعها واثارها* ، رسالة ماجستير ،كلية الدعوة الاسلامية ، قسم الاديان والمذاهب ، جامعة الأزهر .

١٦. بكار ، عبدالكريم (١٤٣١ هـ) . *تكوين المفكر* ، الرياض : دار وجوه .

١٧. بن باز، عبدالعزيز بن عبدالله (١٤٢١هـ). *مجموع فتاوى ومقالات منوعة* ، الرياض: دار القاسم.

١٨. بن سحنون ،محمد (١٩٧٢م). ، *كتاب آداب المعلمين* ، تونس: دار الكتب الشريعة ، ط ٢ .

١٩. الترمذي ،محمد بن عيسى(١٤٣٤هـ). *سنن الترمذي* ،الرياض: مكتبة المعارف.

٢٠. تلمساني، افنان، والقرني، ابتسام (١٤٣٤هـ). *تعليم المعلمات للذكور في الصفوف الأولية فيصفوف منفصلة في ضوء فقه الموازنات* ، مؤتمر فقه الموازنات ودورة في الحياة المعاصرة ، جامعة أم القرى.

٢١. الحنبلي، رفعة (١٣٥٩هـ). التعليم المختلط ، *مجلة الرسالة*، ٣٦٣، ١٠١٤.

٢٢. دويدان، عبدالفتاح (١٩٩٣م). *سيكولوجية النمو والارتقاء* ، بيروت: دار النهضة العربية.

٢٣. ربيع ، هادي مشعان (٢٠٠٦) . *طرق البحث التربوي* ، مكتبة المجتمع العربي : عمان .

٢٤. رضا، محمد رشيد (١٣٠٨هـ). *الجمع بين مسألة الذكران والإناث في المدارس ومسألة التجديد* المجلد ٣ (٢٩، ١١٥-١٢٧).

٢٥. الزايدي ، مسفر عواض (د . ت).واقع ممارسة ادارة الصفوف الأولية من وجهة نظر معلميها ومديري ومرشدي المرحلة الابتدائية بمدينة الطائف . رسالة ماجستير غير منشورة . كلية التربية ، قسم الادارة التربوية والتخطيط ، جامعة الطائف.

٢٦. زهران، حامد عبدالسلام (١٤٢٥هـ). *علم نفس النمو الطفولة والمراهقة* ، القاهرة: عالم الكتب، ط٦.

٢٧. سالم، محمود مندور محمد (١٤٣٣هـ). *النمو الانساني من بداية التكوين الى مرحلة المسنين* ، الرياض: مكتبة الرشد.

٢٨. السبت، خالد بن عثمان (١٤٣٣هـ). *الاختلاط بين الجنسين في الميزان* ، الرياض: دار المنهاج ط٢ .

٢٩. السعدي، عبدالرحمن (١٤٢٠). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، الرياض: دار السلام.

٣٠. السكران ، إبراهيم (١٤٣١) . *تأنيث الصبيان* ، موقع صيد الفوائد ، تم استرجاعها بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ١٤٣٢ هـ www.saaid.net

٣١. شو، بفرلي (١٤٢٧). الغرب يتراجع عن التعليم المختلط ، المدينة المنورة: مطابع الرشد .

٣٢. السيواسي ،كمال الدين محمد (١٤٠٠هـ). *فتح القدير* ، دار الفكر : بيروت .

٣٣. الشوكاني ، محمد (١٤١٣) . *نيل الأوطار* ، دار التدمرية ، الرياض.

٣٤. الصانع ،الفرا ،الفقي ،الدعيجي ،المكينزي (١٩٨٤ /١٩٨٥) . *تقويم تجربة تأنيث هيئة التدريس في بعض المدارس الا بتدائية للبنين بدول الخليج العربي دراسة تحليلية ميدانية* ، دراسة من المركز العربي العربي للبحوث التربوية لدول الخليج غير منشورة . مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض .

٣٥. الطبري، محمد (١٤٢٠هـ). *جامع البيان في تأويل القرآن*، الرياض: مؤسسة الرسالة.

٣٦. الطريفي، عبدالعزيز بن مرزوق(١٤٣٣هـ). *الاختلاط تحرير وتقرير وتعقيب*،(د .م)،(د . د) ،ط ٢ .

٣٧. الطنطاوي، علي (٢٠٠٧م). *ذكريات* ، جدة: دار المنارة ، ط ٥.

٣٨. العباد ، عبدالمحسن (١٤٣٠) . *لا يجمع بين البنين والبنات في الصفوف الأولية الابتدائية* ، موقع الشيخ عبدالمحسن العباد ، تم استرجاعه بتاريخ ٦ / ٤ / ١٤٣٦ هـ www.al-abaad.com .

٣٩. عبدالرحيم، طلعت حسين (١٩٨٧م). *الأسس النفسية للنمو الإنساني* ، الكويت :دار القلم .

٤٠. عثمان، عثمان (١٩٨٦م). *اختلاط الجنسين في مدارسنا*، القاهرة: دار الاعتصام ، ط٢ .

٤١.عثمان، محمد (١٤١٣ هـ). *الفكر الاسلامي والتطور*،الكويت: الدار الكويتية .

٤٢. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (١٤٢١هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري* ، الرياض: دار السلام.

٤٣. علوان، فاطمة عبده (١٩٩٢م) . *علاقة اختلاط الطلاب في التعليم في مرحلة المراهقة ببعض تغيرات الشخصية* . رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، قسم علم النفس ، جامعة الزقازيق.

٤٤. غضبان، منير (١٤٠٤هـ). حكم *تعليم النساء*، القاهرة: مكتبة التراث الاسلامي.

٤٥. الفوزان، صالح بن فوزان (١٤٢٩هـ). *الاختلاط بين الجنسين حقائق وتنبيهات*، الرياض: دار القاسم .

٤٦. القابسي، أبو الحسن (١٩٨٩م). *الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين*، تونس: الشركة التونسية للتوزيع.

٤٧. القاري، علي (١٤٠٥هـ). شرح *مسند أبي حنيفة*، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٨. القحطاني، سعيد بن علي بن وهف (١٤٣٢ هـ) . *الاختلاط بين الرجال والنساء في ضوء الكتاب والسنة* ، الرياض: دار الحربي .

٤٩. قريشي، عبدالكريم (١٩٩٥ م). *علاقة الاختلاط في التعليم بالتوافق النفسي والاجتماعي لطلاب المرحلة الثانوية بالجمهورية الجزائرية*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الادب، قسم علم النفس، جامعة عين شمس.

٥٠. قطب، سيد (١٤٢٨هـ). *في ظلال القرآن*، القاهرة: دار الشروق.

٥١. قطب، محمد (١٤٢٨هـ). *منهج التربية الإسلامية*، القاهرة: دار الشروق.

٥٢. المباركفوري، أبو العلاء محمد(١٤١٥ هـ). *تحفة الاحوذي شرح سنن الترمذي* ، بيروت :دار الكتب العلمية .

٥٣. مدن، يوسف(١٤٢٧هـ). *التعلم والتعليم في النظرية التربوية الاسلامية* ، الرياض:دار الهادي.

٥٤. المسميري، رياض بن محمد ، و الهبدان، محمد بن عبدالله (١٤٣١هـ). *الاختلاط بين الجنسين أحكامه وأثاره* ، الدمام :دار الجداري.

٥٥. النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري (١٤٢١هـ). صحيح *مسلم*، بيروت:دار الكتب العلمية.

٥٦. الهادي ، صادق بن محمد . *تعليم المعلمات الذكور رؤية شرعية* . موقع شبكة الألوكة ، تم استرجاعه بتاريخ ١٤٣٥/١١/١٣ هـ www.alukah.net

٥٧.همام، طلعت (١٩٨٤م). *سين وجيم على علم النفس التطوري* ،عمان: مؤسسة الرسالة.